الشرك الأصغر

وسائل الشرك

تأليف

خالد بن علي المرضي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي، خالد علي

الشرك الأصغر ووسائلة./ خالد علي الغامدي.- جده، ١٤٣٦هـ.

٢٢٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٤ - ٧٧٣٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الشرك بالله ٢- التوحيد أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٣٨٠٦

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٨٠٦

ردمك: ٤ - ٧٧٣٩ - ٠١ -٦٠٣- ٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف: ٤٢٦٦١٠٤ - ٤٢٦٦٩٦٣ فاكس: ٤٢٥٧٩٠٦

www.facebook.com/DARATLAS

twitter: @ dar-atlas

dar-atlas@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا كتاب جامع في الشرك الأصغر ووسائل الشرك .

وقدجعلته في ثلاثة أبواب.

الباب الأول : حقيقة الشرك الأصغر.

الباب الثاني : سد الذرائع المفضية إلى الشرك .

الباب الثالث : فصول في وسائل حفظ التوحيد من الوقوع الشرك.

أسأل الله أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه

أبو علي خالد المرضي الغامدي

بديار غامد بالحجاز

الباب الأول

الشرك الأصغر

الفصل الأول : التعريف بالشرك

الفصل الثاني : الشرك الأصغر

الفصل الأول : التعريف بالشرك

المسألة الأولى : تعريف الشرك :

لغة: الشرك بكسر الشين المعجمة وسكون الراء المهملة.

وهو الضم والخلط والاقتران ، وجمعه أشراك .

وهو ضد الفرد والوتر والوحدانية والتفرد والتوحيد .

الاصطلاح الشرعي:

اتفق العلماء على معناه واختلفت عبارتهم في تعريفه ومن تعريفاتهم له:

التعريف الأول: صرف العبادة لغير الله من دعاءٍ وذبحٍ ونذرٍ ورجاءٍ وتوكلٍ.

التعريف الثاني: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

وهذا التعريف أشمل من السابق، لأنه يدخل فيه الشرك في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، بينما التعريف الأول مختص بتوحيد الألوهية والعبادة، فلا يدخل فيه توحيد الربوبية ولا توحيد الأسماء والصفات .

التعريف الثالث: تشبيه المخلوق بالخالق . وتشبيه الخالق بالمخلوق .

قال ابن القيم : حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به .

م (٢) : ضابط الشرك :

الشرك يضبط بأنه : صرف ما هو حق خاص بالله ﷻ لغير الله.

فالمشرك يقع في تسوية الله بغيره في خصائصه وخصائصه ﷻ على قسمين :

القسم الأول : خصائص متعلقة بالربوبية :

القسم الثاني : خصائص متعلقة بالألوهية والعبودية.

ويكون الشرك في هذين القسمين الخاصين بالله تعالى، بأحد طريقين :

الأول : إما بإنكارها وتعطيل الله منها .

الثاني : أو بإثباتها ونسبتها لغير الله من المخلوقين .

م (٣) : قواعد الشرك وضوابطه :

١- كل ما كان فيه تشبيه للمخلوق بالخالق فيما اختص به تعالى ويستحقه .

٢- كل ما كان فيه تشبيه للخالق بالمخلوق .

٣- تعطيل الله عن ربوبيته وعبادته وكماله وحقوقه وخواصه وأوصافه.

٤- صرف العبادة لغير الله .

٥- اتخاذ الوسائط والشفعاء بقصد التقريب إلى الله واعتقاد احتياجه لها .

٦- التذلل المطلق مع الخضوع والتعظيم والانقياد والقصد والتوجه والتعلق.

م (٤) : ما لا يدخل في الشرك ويجوز إثباته للمخلوق :

ما كان من فعل العبد وداخل تحت قدرته وصفته فإنه يثبت للعبد، وليس نسبته له بشرك، لأنه ليس مما يختص به الله ﷻ .

م (٥) : العلاقة والفرق بين الكفر والشرك :

القول الأول : أنهما بمعنىً واحد فكل كفر شرك والعكس .

القول الثاني: الكفر أعم من الشرك فالشرك عبادة غير الله .

والصحيح أن الشرك له إطلاقان ومعنيان :

الأول إطلاق خاص: عبادة غير الله تعالى فيقصد بالشرك في الألوهية .

الثاني إطلاق عام: كل كفر يسمى شركاً وكل كافر يسمى مشركاً .

م (٦) : **أنواع الشرك وأقسامه** :الشرك ينقسم إلى أقسام باعتبارات :

الاعتبار الأول : باعتبار موضوعه وحقيقته ونوعه :

ينقسم إلى شرك في الألوهية كالاستغاثة بالأموات والسجود للمخلوق.

وشرك في الربوبية كنسبة الخلق لغير الله وادّعاء علم الغيب .

الاعتبار الثاني : باعتبار خطره :

فينقسم إلى شرك أكبر كالذبح لغير الله ، وشرك أصغر كالحلف بغير الله .

الاعتبار الثالث : باعتبار ظهوره وخفائه :

فينقسم إلى شرك ظاهر كالسجود للمخلوق .

وشرك باطن كالخوف من المخلوق ، وشرك خفي وهو الرياء .

الفرق بين الشرك الخفي والباطن .

الخفي قيل هو الذي لا يعلمه الشخص ولا يشعر به . والأظهر أنه خفي لأنه مصروف لله تعالى من حيث الأصل، وهو خاص بالرياء . والشرك الباطن هو ما كان متعلقاً بالقلب ومصروفا من أصله لغير الله كالخوف من غير الله .

الاعتبار الرابع : باعتبار الآلة :

فينقسم إلى شرك فعلي كالسجود والذبح ، وشرك قولي كالدعاء ، وشرك اعتقادي قلبي كالخوف والمحبة .

الاعتبار الخامس: باعتبار كيفيته :

ينقسم إلى شرك تعطيل ونفي وسلب وإنكار كإنكار صفات الله وعدم عبادته.

وشرك تنديد وتمثيل وإيجاد وإثبات كإثبات علم الغيب للمخلوق.

م (٧) : فائدة : قد يكون الفعل الواحد داخل في شرك الربوبية والألوهية :

بعض الأنواع والأمثلة تدخل في أكثر من قسم :

فتكون شركا في الربوبية وشركا في الألوهية ، كما أن منها ما يكون شركا في الاعتقاد والقول والعمل . وتكون أكبر وأصغر . ومن أمثال ذلك:

من أنواع الشرك السجود للمخلوق فإنه شرك من الساجد شرك في الألوهية وشرك من المسجود له شرك في الربوبية إذا رضي بالسجود له.

والحكم من الحاكم شرك في الربوبية ومن المتحاكم شرك في الألوهية .

والتشاؤم والتطير والتبرك وتعليق التمائم : من قبيل شرك الأسباب .

فهي شرك في الربوبية فإن اعتقد فيها مجرد السببية في حصول الحوادث وردها فهو شرك أصغر . وإن اعتقد فيها التأثير بذاتها أو أن الله ﷻ جعل فيها التأثير والقدرة على الدفع والنفع فهذا شرك أكبر.

وإن خاف هذه الأشياء ورجاها أو تعلق بها وأحبها فهذا أشرك في الألوهية .

كما أن فيها شركاً في الألوهية . لأن التبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر ، والخير من الله، ولوجود التعلق فيه والرجاء وهذه من العبادة. كذلك يدخل في هذا النوع الخوف السري الأصغر .

ومثل ذلك التطير شرك فيهما. كما أنه شرك في الاعتقاد والقول والعمل .

ويكونان أكبر وأصغر، قلبي وعملي، ربوبي وألوهي.

والرياء شرك في الألوهية طلب المدح من المخلوق ومراقبته وقصده ، كما أنه يتعلق بالربوبية . ويكون قلبي وعملي .

الفصل الثاني : الشرك الأصغر

م (١) : أقسام الشرك إلى أكبر وأصغر :

ينقسم الشرك من ناحية خطره وعظمه إلى أكبر وأصغر .

الشرك الأكبر هو الذي لا يغفره الله ويخرج عن الملة . ومن أمثلته: السجود لغير الله والذبح والنذر لغير الله ، والخوف من المخلوق والتوكل عليه فيما لا يقدر عليه المخلوق، دعاء غير الله والاستغاثة بالميت وطلب الشفاعة منه والتشريع .

والشرك الأصغر ما دون ذلك .

م (٢): تعريف الشرك الأصغر وحقيقته :

اختلف أهل العلم في تعريفه وضبطه على أقوال :

القول الأول : أنه ليس له تعريف، وإنما يعرف بالأمثلة .

الثاني: له تعريف وضابط يعرف به ، إلا أنه لا يوجد تعريف إلا وعليه انتقاد.

ومن أضبط ما عرف به الشرك الأصغر بأنه :

كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء النص بتسميته شركا، ولا يصل إلى الشرك الأكبر .

فمن قال : الشرك الأصغر كل وسيلة للشرك الأكبر، قد يعترض عليه بأن هناك وسائل للشرك الأكبر ليست من الشرك كالصلاة عند القبور.

ومنهم من قال : كل شيء سماه الله تعالى شركاً ولم يصل إلى الشرك الأكبر أو لم يخرج من الملة، وقد يعترض عليه بوجود أمثلة للشرك لم يرد ذكرها في النصوص.

م (٣) : ضوابطه : يمكن أن يعرف الشرك الأصغر بعدة ضوابط أو ببعضها :

١- كل ما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه .

٢- ما نهى عنه الشرع وسمّاه شركا من غير إخراج صاحبه من الملة .

٣- كل ما كان من قبيل التعلق بالأسباب والاعتماد عليها ونسبة الحوادث لغير الله ، أو تسبيب ما ليس بسبب . ومعظم الشرك الأصغر من باب الأسباب.

٤- كل ما ينافي كمال التوحيد ويقدح فيه وهو من جنس الإشراك ، فيخرج بهذا القيد المعاصي والكبائر .

٥- كل ما كان من قبيل الألفاظ وهيئة العمل من غير أن يقارنها اعتقاد .

٦- كل ما فيه تعلق القلب بغير الله واللجوء والتوجه إلى غيره، لكن لا يصل إلى رتبة العبادة ولا يتضمن عبادة للمخلوق .

٧- الذرائع والأسباب والدواعي والوسائل لحصول الشرك ووقوعه .

٨- ما جاء منكراً غير معرف فهو أصغر وما جاء معرفاً بأل فهو الأكبر .

م (٤) :قاعدة : وجه كون الشرك الأصغر شركا :

لأن فيه نوع شرك وذلك بإعطاء المخلوق بعض صفات الرب تعالى وخصائصه.

فائدة : معظم أنواع الشرك الأصغر من باب الأسباب .

م (٥) : قاعدة : وجه كون الشرك الأصغر شركا أصغر وليس بأكبر:

لأنه ليس فيه رفع للمخلوق إلى درجة الألوهية وليس فيه عبادة.

م (٦) : يوجد شرك أصغر لم ينص على أنه شرك وإنما يعرف بالقياس .

مثال : كالشرك الأصغر في المحبة وفي الخوف.

م (٧) : العلاقة بين وسائل الشرك والشرك الأصغر:

أغلب وسائل الشرك إن لم يكن جميعها فيها نوع شرك حتى التقليد والتصوير والتعظيم والكبر والتوسل ، لكن قد يوجد وسائل للشرك الأكبر وليست من باب الشرك الأصغر . مثل : الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها والصلاة في المقبرة من غير قصد التبرك .

لكن لا يوجد شرك أصغر إلا وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر .

م (٨): تتنوع وسائل الشرك لنوعين خاصة بالقبور والأموات ووسائل عامة .

م (٩) : وجوب تغيير الألفاظ الموهمة والتي قد تكون وسيلة وذريعة للشرك.

م (١٠) : يسمي بعض أهل العلم الشرك الأصغر شرك الألفاظ :

وقصدوا بها أن قائلها لا يصاحب لفظه تعظيم وتذلل وشرك قلب .

لكن هذه التسمية يؤخذ عليها وجود شرك متعلق بالقلب وليس من الألفاظ كما أن بعض الألفاظ من الشرك الأكبر كدعاء غير الله . وقد يكون مرجع هذا المصطلح للمرجئة الذين لا يكفرون إلا بالجحود والاستحلال وكفر القلب .

م (١١) : ورود تسمية الشرك بالأصغر وبالخفي في الشرع :

قال الرسول ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر قال : (الرياء) رواه أحمد.

وقال الرسول ﷺ : (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال) قلنا : بلى يارسول الله ، قال : (الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) رواه أحمد وابن ماجه.

م (١٢) : الفرق بين الشرك الخفي والباطن:

فائدة : البعض ضبط الخفي بما لا يعلمه الشخص ومن ذلك جاء التعوذ والاستغفار منه ، كما في الحديث (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم).

والأظهر أنه خفي من ناحية كونه مصروفاً لله تعالى من حيث الأصل، فالمرائي صلاته صلاها لله وليست لمن يرائي له ولكن زينها وحسنها له . ولو أنه لم يُنشئ الصلاة إلا للمخلوق لكان شركا أكبر .

أما الشرك الباطن القلبي فمن مثل الخوف والتوكل والمحبة وبقية العبادات القلبية فهي شرك مستقل ظاهر وليس خفياً ، لأنها صرفت للمخلوق من دون الله فالخوف حاصل من المخلوق وهذا بخلاف الصلاة والسجود والحج والصدقة وغيرها من العبادات التي يدخلها الرياء فسجود المرائي وصلاته وحجه أصلها لله .

م (١٣) : مصطلح الشرك الخفي للرياء .

تسمية النبي ﷺ الرياء بالشرك الأصغر والشرك الخفي وسماه شرك السرائر:

لكن لا يدل على أن الشرك الخفي لا يكون منه شرك أكبر وأن الرياء لا يصل إلى الشرك الأكبر.

ويدخل البعض في الشرك الخفي أنواعا كثيرة غير الرياء ويزعم أن الرسول ﷺ فسّر الشرك الخفي ببعض أفراده فيدخل في الشرك الخفي شرك الخوف والتوكل وأعمال أخرى، وهذا خطأ فهناك فرق بين الشرك الخفي والشرك الباطن كما تقدم.

م (١٤) : الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :

١- أن الشرك الأكبر لا يغفره الله إجماعاً أما الشرك الأصغر فمحل خلاف .

٢- أن الشرك الأكبر يخرج من الملة والشرك الأصغر لا يخرج من الملة .

٣- أن الشرك الأكبر يحبط الأعمال والشرك الأصغر لا يحبط الأعمال .

٤- أن الشرك الأكبر يبيح الدم والمال والعرض وأما الشرك الأصغر فلا .

٥- تجري على صاحب الشرك الأصغر أحكام الإسلام وتجري على صاحب الشرك الأكبر أحكام الكفر والكافرين .

م (١٥) : سر وضابط الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

١- أن الأكبر فيه عبادة لغير الله والعمل من أصله مصروف لغير الله، بينما الأصغر فاعله عابد لله ولكن عنده نوع توجه لغيره تعالى وأما العمل نفسه فهو لله.

٢- أن الأكبر مبني على الخضوع والذل لغير الله .

٣- أن الأكبر مبني على تعظيم المخلوق .

٤- يجتمع الشرك الأصغر مع الإيمان والإسلام بخلاف الشرك الأكبر .

٥- في الأكبر اعتقاد النفع والضر وإسناد الحوادث لغير الله فإذا وجد ذلك الاعتقاد في الأسباب كالتمائم والتطير ونحوها حولها إلى شرك أكبر.

م (١٦) : تحول الشرك الأصغر إلى أكبر:

قد يصير الشرك الأصغر شركا أكبر وذلك إذا قارنه الاعتقاد .

كأن يخرج من دائرة السببية إلى دائرة التأثير والاستقلال بالنفع والضر.

وذلك مثلاً في تعليق التمائم وقول (ما شاء الله وشاء فلان ولولا فلان).

م (١٧) : اختلف العلماء في الشرك الأصغر هل يغفره الله تعالى أو لا يغفره .

فمن أهل العلم من ذهب إلى أن الشرك الأصغر لا يغفره الله تعالى للآية التي في سورة النساء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

وقالوا : في هذه الآية عموم ، فهي عامة للشرك الأصغر والأكبر ودلت الآية على العموم لأنها نكرة في سياق النفي .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الشرك الأصغر يغفره الله ﷻ .

وقال غيرهم: إن الشرك الأصغر لا يغفره الله ﷻ، لكن عدم مغفرة الله تعالى لا يستلزم دخول النار ولا يستلزم الخروج من الملة ، فقد يعذب الله ﷻ المشرك شركاً أصغر بأمراض أو نحوها في الدنيا أو بالعذاب في القبر أو يوم القيامة ، دون أن يدخل النار ، وقد يدخل النار ولكن لا يخلد فيها .

قال ابن تيمية : (إن الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر لعموم الآية) .

وقال : (الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر ، على مقتضى القرآن ، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً ، لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة) . الاستغاثة ١٤٦ .

م (١٨) : الشرك الأصغر أعظم من الكبائر التي ليست بشرك .

قال ابن مسعود ﷺ : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أحلف بغيره صادقا .

م (١٩) : علة خوف الرسول ﷺ من الشرك الأصغر :

لأن فاعله يفعله ولا يهتم له ولا يخشى من عواقبه فيستهين به حتى يوصله للشرك الأكبر من حيث لا يشعر ، فتنتشر ذرائع الشرك ومسوغاته والناس في غفلة .

م (٢٠) : الشرك الأصغر في العبادات:

هل يوجد عبادة صغرى ، وحقيقة عبادة الدنيا والدينار ، وهل الشرك الأصغر فيه عبادة لغير الله ، ومثلها ألوهية اتخاذ الهوى إلها .

العبادة حق لله وخاصة به لا تصرف لغيره .

كما في حديث معاذ : (حق الله على العبيد).

والعبادة هي التذلل والخضوع والمحبة والتعلق والإرادة والتعظيم.

ومن تذللت له حبا وتعلقا فقد عبدته.

ولذلك من تعلق بهواه وخضع له وأحب ما يهوى فقد صار عبدا له ، ومن أراد الدنيا والمال وعظمها وأحبها وقدمها وتعلق بها وأرادها فقد عبدها.

فمن تعلق قلبه بالدنيا حتى تصير همه ويضيع بسببها الواجبات ويفعل المحرمات ويوالي فيها ويعادي ويرضى بسببها ويسخط، فهذا يقال عنه عبد الدنيا .

وهذا هو حقيقة عبادة الدنيا والمقصود بقول الرسول ﷺ : (تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط) رواه البخاري. تسمية الإنسان المسلم عبد الدنيا والدينار والمال ، وذلك أنه لما كانت الدنيا هي مقصود الشخص ومطلوبه الذي عمل له وصارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى لها صار بذلك عبدا لها .

كما جاء تفسير ذلك في نص الحديث: بأنه إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط.

قال ابن رجب في فتح الباري عن حديث تعس عبد الدينار:(فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه).

وعبودية الدنيا هذه فيها نوع من معاني العبادة ، لا أصل العبادة التي يكفر من صرفها لغير الله. وليس المقصود بالعبودية هنا العبادة الكلية الكبرى الحقيقية التي يكفر من صرفها لغير الله وإنما الصغرى والتي تدخل في الشرك الأصغر، وسميت عبادة وجعلت منها لوجود بعض معاني العبادة فيها .

ومثلها العبادات الصغرى الشرك الأصغر في عبادة المحبة والخوف.

م (٢١) : قاعدة : شرك الأسباب وإسناد الحوادث لغير الله .

باب يدخل فيه معظم صور الشرك الأصغر.

إما بجعل ما ليس بسبب سببا ، أو بالغلو في السبب والاعتماد عليه .

قاعدة:حقيقة الشرك في قول ما شاء الله وشئت، ولولا كذا لصار كذا، ومطرنا بالربيع، وفي تعليق التمائم، والرقى ، والتبرك الممنوع ، والتطير ، والتوسل البدعي.

شرك لأن فيها نسبة شيء من التدبير والتأثير لغير الله . فإن اعتقد فيها الاستقلال في التدبير والمشيئة فأكبر، وإن جعلها مجرد سبب فشرك أصغر.

فائدة سيأتي وجه كون العجب والكبر والفخر والطعن في الأنساب والجزع من القدر من الشرك الأصغر .

م (٢٢) : كفارة الشرك الأصغر: لما قال الرسول ﷺ أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل قالوا وكيف نتقيه يارسول الله قال قولوا : (اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) رواه أحمد بسند ضعف.

م (٢٣) : حمى الرسول ﷺ جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك:

ترك الألفاظ الموهمة والمحتملة وصيانة اللسان عنها والتي قد تفضي للشرك.

م (٢٤) : أقسام الشرك الأصغر :

ينقسم الشرك الأصغر إلى : شرك خفي وظاهر.

وينقسم الظاهر إلى : اعتقادي قلبي ، وقولي ، وعملي متعلق بالجوارح.

وينقسم إلى شرك أصغر متعلق بالربوبية ومتعلق بالألوهية .

القسم الأول: شرك أصغر خفي وهو الرياء .

القسم الثاني: شرك أصغر ظاهر وهو نوعان:

النوع الأول: في الربوبية وفي الأسماء والصفات، ويكون في ثلاثة أمور:

الاعتقاد: كمن يعتقد في أمرٍ أنه سبب في دفع ضر وجلب نفع وهو ليس سبباً كأن يظن التميمة تدفع العين أو يعتقد أن النجم سبب للمطر وكالتشاؤم.

أو يسمي المخلوق بشيء من أسماء الله .

الأعمال: تعليق التمائم ، والتصوير، والتطير.

الأقوال: ماشاء الله وشئت ولولا كذا لصار كذا، من ينسب المطر للنجم.

النوع الثاني: في الألوهية، ويكون في ثلاثة أمور:

الاعتقاد القلبي: كخوف المخلوق أو التعلق به . كخوف الحيوان المتشائم منه .

الأعمال: كأن يتمسح بجسده طلباً للبركة، مثل التمسح بجدران الكعبة ، أو يذهب إلى القبور لقصد الدعاء عندها لأجل ما يريده ويظنه من تحصيل بركتها .

الأقوال: كالحلف بغير الله، ومدح الناس وشكرهم على ما آتاك الله .

م (٢٥) : بعض الأفعال تدخل في أكثر من قسم : فتكون شركا في الربوبية وشركا في الألوهية . وشركا في الاعتقاد والقول والعمل . وتكون أكبر وأصغر . كالتشاؤم والتبرك يكون بالقلب واللسان والجوارح ، وشركا في الربوبية والألوهية.

م (٢٦) : أمثلة على الشرك الأصغر :

١- الرياء .

٢- السمعة .

٣- العجب .

٤- إرادة الدنيا بعمل الآخرة .

٥- الكبر ، ويدخل فيه الفخر .

٦- الحلف بغير الله ، (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي .

٧- التسوية في اللفظ ، كقول : لولا الله وفلان وقول ما شاء الله وشئت ، وفيه الحديث : (إنكم تشركون،تقولون ماشاء الله وشئت) أحمد.

٨- قول (لولا) : لولا الكلب لسرق البيت .

٩- تعليق الحوادث بغير الله وإسناد الأمور للأسباب والاعتماد عليها بالكلية. وتحت هذا الباب جملة من الأمثلة .

١٠- لبس الحلقة والخيط والتمائم ، (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) أحمد .

١١- التشاؤم والطيرة والتطير ، (الطيرة شرك) رواه أحمد وأبو داود .

١٢- عبادة الدنيا والمال والمنصب ، (تعس عبد الدينار) البخاري .

١٣- طاعة المخلوق في معصية الخالق .

١٤- التسمي بالحكم وقاضي القضاة وملك الملوك .

١٥- التعبيد لغير الله .

١٦- التسخط على القدر ، وهذا باب يدخل تحته أمثلة كثيرة .

١٧- نسبة المطر للنجم والأجواء، مطرنا بنوء وبالنجم الفلاني بسبب الشتاء.

١٨- الاستشفاع بالله على خلقه .

١٩- التصوير .

٢٠- تعظيم المخلوق والمبالغة فيه.

٢١- التعلق بالمخلوق .

٢٢- التبرك .

٢٣- الطعن في النسب .

٢٤- الفخر بالأحساب .

٢٥- الجزع والتسخط على القدر وعدم الصبر.

٢٦- قول (لو) .

٢٧- سب أفعال الله .

٢٨- سب الدهر .

٢٩- سب الريح .

٣٠- القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله .

٣١- الأمن من مكر الله .

٣٢- تسمية المخلوق بأسماء الله ووصف الله تعالى ببعض صفات خلقه .

٣٣- تعليق الدعاء بالمشيئة إذا قصد المعنى المحذور .

٣٤- شكر الناس على نعم الله .

٣٤- الشرك الأصغر في العبادات القلبية .

٣٥- الشرك الأصغر في المحبة .

٣٦- الخوف الأصغر .

٣٧- التوكل الأصغر .

٣٨- ترجي المخلوق .

٣٩- القيام للمخلوق تعظيما له .

٤٠- الحكم بغير ما أنزل الله في قضية معينة للهوى من غير استحلال .

٤١- تعظيم القبور ، ومن ذلك إسراجها والبناء عليها .

٤٢- الذبح والصلاة في أماكن عبادات الكفار .

٤٣- رعاية الآثار وتعظيمها .

٤٤- التوسل .

فهذه بضعة وأربعون فعلا شركيا من باب الشرك الأصغر.

الباب الثاني

ذرائع الشرك ووسائله

المسألة الأولى : معنى الذرائع والوسائل :

الوسائل هي بمعنى الذرائع .

والذريعة ما كان طريقا وسببا يتوصل بها لحصول غاية.

ومن معانيها : ما كان مباحا في أصله لكن يفضي لأمر محرم.

أيضاً : ما كان طريقا إلى المقاصد من المصالح والمفاسد .

فائدة : باب الذرائع ضد رعاية المصالح .

فائدة : علاقتها بالأسباب . باب الأسباب يدخل في باب ذرائع الشرك .

م (٢): منهج الشارع مع الوسائل والغايات والمقاصد :

الشارع إذا حرم شيئاً حرم الطرق الموصلة إليه والوسائل المفضية إليه .

ومن هذا الباب كان من مقاصد الشريعة وأبواب الدين سد الذرائع ، فالأفعال إذا كانت مباحة لكن قد تفضي إلى محذور وجب سدها ودفعها وإغلاقها .

م (٣) : معنى: (لايستجرينكم الشيطان) أبو داود، (لا يستهوينكم) النسائي.

هذه خطواته التي يتدرج بها ويتبعها المفتون أخبرنا الله عنها وحذرنا منها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ، وهي من الذرائع والوسائل والطرق والأبواب المفضية للشرك والموقعة في حمى التوحيد وجنابه ، والشارع صان كل ذلك وحماه وحفظه وحسم كل ما يخالف ذلك وسده وأغلقه.

م (٤) : الفرق بين الحماية للتوحيد وسد طرق الشرك :

أن سد الطرق والوسائل من الحماية .

م (٥) : فتح الذرائع :

كترك النبي ﷺ قتل المنافقين ، وتحريق أموال الكفار وإتلافها ، والسفر للكفار، وإقامتهم عندنا للمصلحة ، وكفعل الكفر مكرها.

م (٦) : علاقة وسائل الشرك بالشرك الأصغر :

١- أغلب وسائل الشرك إذا لم يكن جميعها فيها نوع شرك حتى التقليد والتصوير والتعظيم والكبر والتوسل .

٢- لكن يوجد وسائل للشرك الأكبر وليست من باب الشرك الأصغر ، مثل: الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها والصلاة في المقبرة من غير قصد التبرك .

٣- ولا يوجد شرك أصغر إلا وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر .

م (٧) : أقسام الوسائل:

١- مقصودة بذاتها ، كمن تشبه بالكفار قصدا وتقصد الصلاة في المقبرة.

٢- ألا يقصد فاعلها موافقة المحرم ، كمن لبس مثل لبس الكفار وشابههم من غير أن يقصد ، أو صلى في المقبرة وفاقا لا تعمدا .

م (٨) : أبواب الوسائل:

١- وسائل متعلقة بالألوهية ، كالصلاة عند القبور والبناء عليها.

٢- وسائل متعلقة بالربوبية والصفات ، كالإقسام على الله والاستشفاع به.

٣- وسائل متعلقة بالولاء والبراء، كالتشبه بالكفار وهو من ذرائع الكفر.

٤- وسائل متعلقة بالقدر ، كالصبر وكعدم قول (لو) اعتراضا على القدر.

ووسائل تتعلق ببقية أبواب العقيدة والإيمان والغيبيات والأسماء والأحكام.

م (٩) : مقاصد التوحيد التي جاء الشرع بالوسائل لحمايتها :

١- تحقيق العبودية لله وإخلاص العبادة لله والبعد عن الشرك .

٢- تعظيم الرب ﷻ والبعد عما ينافي تعظيمه ، واحترام جناب الربوبية.

٣- إثبات الكمال لله ﷻ، وعدم تعطيله عن كماله.

٤- عدم القدح في أفعال الله وسبها، ونفي النقص عنه وتبرئته من العيب .

٥- تنزيه الله عن التمثيل مع خلقه فلا يعطى صفات الخلق ولا الخلق صفاته.

٦- عدم الغلو في الخلق وإعطائهم صفات الخالق وربوبيته والتأثير .

٧- إثبات صفات الله لهم ، نسبة الحوادث للخلق والتأثير لهم.

٨- الرضا عن الله وعما جاء عنه وعن أقداره وعدم التسخط على أقداره .

٩- التأدب مع الله في الألفاظ والبعد عن الألفاظ الموهمة .

١٠- حفظ وسائل حماية التوحيد، وسد ذرائع الشرك وطرقه.

١١- البعد عن مشابهة المشركين.

م (١٠) : هل يوجد وسائل قلبية اعتقادية :

في الغالب أن وسائل القلب لا تستقل بل يتبعها قول أو فعل .

م (١١):القاعدة:أن كل الوسائل متعلقة بالقلب وقد تفضي للعقيدة الفاسدة.

م (١٢) : حكم ما لو لم توجد عقيدة القلب في فعل الذريعة:

الحكم يبقى على أصله بالتحريم وسد الذريعة كحسم مادة التشبه.

م (١٣) : بعض الوسائل تكون قولية وعملية . كالتسخط والتشاؤم .

م (١٤) : أسباب وقوع الشرك وبقائه :

١- الجهل بحقيقة الدين وما أمر الله به وما نهى عنه، والجهل بمعنى العبادة والتوحيد والشرك وما هو التوحيد الذي يرضاه الله والعبادة التي هي حق خالص له وحده لا شريك له، والتي من نازعه فيها وعبد غيره فإنه يصير بذلك كافراً مشركاً وخارجاً من الإسلام إلى الكفر قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ الزمر: ٦٤ ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨.

ومن أعظم المصائب أن كثيراً من العباد والعلماء لا يعرفون معنى لا إله إلا الله ولم يفهموا التوحيد ولا شرك الأولين ولا لـم أرسلت به الرسل .

٢- سوء الظن بالله عز وجل وعدم تقديره سبحانه ولا معرفة صفاته العلية، فالمشرك يقيس ربه الغني بالمخلوق الضعيف الذي يحتاج لواسطة تقرب إليه وتشفع عنده وذلك لجهله وعجزه وعدم رحمته فتطلب الواسطة عنده، ليعلم بوزرائه وأعوانه وشركائه ويرحم بهم ويقدر بهم، فأين ذلك من الله سبحانه العالم بكل شيء والذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو مع خلقه أينما كانوا ، وهو يعلم السر وأخفى ، وهو القادر على كل شيء والمالك وحده للنفع والضر وغيره لا يضر ولا ينفع ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، وهو الراحم بخلقه المتكفل بأرزاقهم الغني الحميد الصمد الذي يصمد الخلق إليه ويسألونه حوائجهم وهم الفقراء إليه والله وحده هو الغني الحميد .

وصدق الله تعالى حين وصف حال المشركين في سوء ظنهم بالله بقوله تعالى:

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ الفتح: ٦

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ فصلت: ٢٣ ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٨٥ – ٨٧

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ص: ٢٧

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ آل عمران: ١٥٤

وقال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الحج ٧٤ ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ نوح: ١٣.

هذا هو الشرك وهذا حال صاحبه أساء ظنه بربه وعدم تقديره حق قدره وتشبيهه بخلقه فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٣- الغلو في الصالحين وفي المخلوقات فترفع عن مرتبتها ومنزلتها ويشبه المخلوق بالرب تبارك وتعالى ويعطى صفات الألوهية والربوبية ويطلب منه جلب النفع ودفع الضر وكشف الكرب ويتبرك به ويلتجأ إليه ويتوكل عليه ويعظم ويحب ويرجى ويخضع له عابدوه ويذلون له .

ولذلك كان أول شرك وقع في هذه الأرض شرك قوم نوح ، وكان سببه الغلو في الصالحين وطلب الشفاعة منهم والتقرب بهم إلى الله .

م (١٥) : الجامع في تحريم وسائل الشرك :

١- أن تقوم على تعلق القلب بغير الله واللجوء والتوجه إلى غيره .

٢- أنها ذرائع وأسباب ودواعي ووسائل لحصول الشرك ووقوعه .

٣- أن فيها تعظيم المخلوق والغلو فيه .

٤- أن فيها تنقص الرب ﷻ والقدح في أفعاله.

م (١٦) : ألفاظ فيها تجرؤ على الرب وعدم تعظيمه ونقص لكمال التوحيد:

١- السلام على الله ﷻ .

٢- التألي على الله ﷻ .

٣- الاستشفاع بالله ، بأن تجعل الله ﷻ واسطة لك عند خلقه .

٤- الاستثناء في الدعاء : كقول: اللهم اغفر لي إن شئت .

٥- الإقسام على الله ﷻ والتدخّل في أفعاله .

٦- لا يقول : عبدي وأمتي .

٧- رد من سأل بالله ﷻ.

٨- لا يسأل بوجه الله ﷻ إلا الجنة .

٩- قول : (لو) وقول: (لولا).

١٠- الظن السيئ بالله تعالى .

١٢- الوفاء بذمة الله ﷻ وعدم إخفارها .

١٣- دعاء الله ﷻ ببعض الألفاظ السيئة كقول : الله يظلم فلان أو الله يؤذي فلان أو يخون الله من يخوننا أو الله يخدمني في فلان ، فهذه كلها تنبئ عن سوء أدب مع الله عز وجل ومما يجب أن ينزه ربنا عنه، فالله لا يظلم ولا يخون سبحانه .

١٠- قول: (لولا الله وفلان) ، وقول: (ما شاء الله وشاء فلان) .

١١- سب أفعال الله تعالى.

فهذه الأمور داخلة في تعظيم الله وتوحيده وتتعلق بالشرك الأصغر ووسائل الشرك .

م (١٧) : من حماية الشرع جناب التوحيد وسد وسائل الشرك :

١- بيانه لأضرار الشرك وخطره ومفاسده .

٢- خوف الأنبياء من الوقوع في الشرك :

فهذا الخليل عليه السلام إمام الموحدين دعا الله بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥.

٣- سد ذرائع الشرك .

وإذا كان الله ورسوله حرموا هذه الوسائل حتى لا تفضي للشرك وحماية جناب التوحيد ، فمن المستحيل شرعاً وفطرة وعقلا أن يأتي في هذه الشريعة المطهرة الكاملة إباحة دعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم في الملمات والمهمات.

٤- إزالة آثار الشرك وبقايا الأصنام :

ومن ذلك أمر الرسول ﷺ للصحابة ﷺ بهدم اللات والعزى وذي الخلصة وغيرها ، وهدم يوم فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً كانت على الكعبة وحولها .

م (١٨) : فائدة : تتنوع وسائل الشرك لنوعين :

وسائل متعلقة بالقبور وخاصة بالأموات ووسائل عامة .

م (١٩) : قاعدة :

وجوب تغيير الألفاظ الموهمة التي قد تكون وسيلة وذريعة للشرك.

م (٢٠) : عدد وسائل الشرك :

الذرائع التي سدها الشرع حسب استقراء النصوص وصلت إلى خمسين ذريعة شركية ووسيلة .

م (٢١) : أنواع الذرائع الشركية: وعددها خمسون ذريعة بعد الاستقراء:

أولاً : وسائل قولية لفظية:

١- الاطراء والمدح .

٢- التسوية اللفظية.

٣- التوسل .

٤- الاستسقاء بالأنواء .

٥- إسناد الحوادث لغير الله ونسبة الحوادث للدهر. وقول (لولا) .

٦- الحلف بغير الله .

٧- التشبه بالمشركين.

٨- نسبة النعم لغير الله وشكر الخلق عليها .

٩- ترك الدعاء والشكر.

١٠- الاستشفاع بالله .

١١- الإقسام على الله ، والتألي عليه.

١٢- كثرة الحلف وامتهانه.

١٣- السلام على الله .

١٤- تعليق الدعاء بالمشيئة كقول اللهم اغفر لي إن شئت .

١٥- اخفار ذمة الله ونكث عهده.

١٦- التسخّط على القدر بالقول والعمل وقول (لو).

١٧- انتقاص الرب ﷻ وانتقاص صفاته وأفعاله .

١٨- سب أفعال الله كالدهر والريح .

١٩- تشبيه الرب بخلقه والخلق بربهم، جحد الأسماء والصفات وتعطيلها، احترامها، والتسمي بقاضي القضاة .

٢٠- التعبيد لغير الله وشرك التسمية .

٢١- الألقاب المعظمة للمخلوق أو فيها مشابهة لما يختص به الرب.

ثانياً : وسائل عملية بدنية :

١- الغلو والتعظيم في : الأحياء والأموات والقبور والمواضع والآثار.

٢- تقصد مواضع بالعبادة أو أماكن الشرك التي يعبد فيها غيره .

٣- البناء على القبور واتخاذها مساجد وإنارتها والصلاة فيها .

٤- التصوير .

٥- التقليد .

٦- التبرك .

٧- التمائم .

٨- التشاؤم .

٩- الذهاب للسحرة .

١٠- ترك الواجب خشية الناس .

١١- القيام للمخلوق .

١٢- رعاية الآثار وتعظيمها .

١٣- الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها .

ثالثاً : وسائل قلبية اعتقادية :

١- الأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله.

٢- التبرك.

٣- التشاؤم .

٤- الغلو في الخلق.

٥- الجزع وعدم الصبر ، تسخط على أقدار الله وأفعاله وربوبيته .

٧- الرياء وإرادة الدنيا.

٨- سوء الظن بالله .

٩- اعتقاد استحقاق النعم ، وأن للمخلوق حقاً على ربه.

١٠ الكبر والفخر والعجب والطعن في الناس وأنسابهم.

١١- تقدير الله وتعظيمه .

١٢- الاعتماد على الأسباب بالكلية.

١٣- الخوف من المخلوق والتوكل عليه وترجيّه.

١٤- عبادة الدنيا والتعلق بها .

١٥- الاستغناء عن الله .

وكل هذه الأبواب تدخل في الشرك الأصغر كما تعتبر من حماية النبي ﷺ التوحيد وسد طرق الشرك.

الباب الثالث : مباحث متعلقة بالشرك الأصغر ووسائل الشرك

وتحته : خمس وعشرون فصلا

الفصل الأول : الإخلاص وشرك الإرادة والنية والقصد والابتغاء

م (١):الإخلاص عبادة قلبية،وهو عبادة الله ﷻ وحده. ضده الشرك والرياء.

م (٢) :المراد بالإخلاص والنية:

قصد الله وحده بالعمل وإرادة وجهه بالعبادة ، وأن لا يقع العبد في الشرك.

قد يعبر عن الإخلاص بالابتغاء أو النية أو الإرادة أو القصد .

وقد جاءت النصوص معبرة بهذه الألفاظ .

والإخلاص والتوحيد والإفراد بمعنى واحد ومترادف.

م (٣) : اطلاقات الإخلاص ومعانيه:

المعنى الخاص: وهو المتعلق بالإرادة والنية وبعض أفراد العبادة والطاعة، ويكون بهذا الاعتبار والإطلاق والمعنى جزء من التوحيد، ويصير المقصود به ما يقابل الرياء والسمعة والعجب وإرادة الدنيا .

المعنى العام: وهو مرادف للتوحيد ويتعلق بأصل الإيمان ويكون مقابلا بهذا جميع أنواع الشرك والكفر وهو المقصود في آية: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الزمر: ٢.

م (٤) : معنى النية: النية هي العزم والقصد والإرادة والبغية .

م (٥) : استعمالات النية : للنية استعمالان :

١- تمييز العبادة بعضها عن بعض كصلاة الظهر عن العصر والنفل عن الفرض والعبادة عن العادة والعمل الجبلي الطبعي كالصوم والتخسيس والرجيم .

٢- تمييز العبادة عن الشرك وإرادة الله والإخلاص له وإرادة غيره .

م (٦): الإحسان يتناول الإخلاص وغيره لا مجرد الإخلاص فالإحسان أعم.

م (٧) : دليل الإخلاص والشرك المتعلق به :

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ هود: ١٥ - ١٦. وآية هود هذه أصل في هذا الشرك .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١١٠.

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ آل عمران: ١٥٢ .

وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ الإسراء: ١٨.

وقوله : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ البقرة: ٢٠٠.

وقوله تعالى : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ١٤٢ .

وقوله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ .

وقوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى: ٢٠.

وفي السنة : عن عمر ﷺ مرفوعا (إنما الأعمال بالنيات) رواه البخاري.

عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا (قال الله ﷻ:أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه)رواه مسلم. معنى تركته وشركه : أي لم أقبله.

وفي رواية عند ابن ماجه : (فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) .

وقال ﷺ : (إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه) رواه النسائي .

وقال ﷺ :(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء) رواه أحمد .

حديث الضحاك بن قيس يرفعه :(إن الله ﷻ يقول :(أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي) ، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله ﷻ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ، ولا تقولوا هذا لله والرحم فإنها للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا : هذا لله ولوجوهكم ، فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء). رواه البزار والبيهقي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) رواه البخاري.

م (٨) :حكم الإخلاص ومنزلته ومكانته:

الإخلاص ركن الدين القويم ولا يقبل عمل ولا عبادة بدونه كما جاءت الأدلة بذلك .وهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق وبعثت الرسل والعبادة لا تقبل ولا ينظر فيها إلا إذا كانت خالصة لله وقام بها التوحيد ومالت وحنفت عن الشرك .

والدليل قوله تعالى :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥

وقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ .

ولهذا كان السلف رحمهم الله يعتنون بالإخلاص ويجاهدون أنفسهم عليه.

يقول سفيان الثوري: (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي لأنها تنقلب عليّ).

وقال الإمام أحمد : (أمر النية شديد) .

وقال القشيري : (أعز شيء في الدنيا الإخلاص) .

وقال ابن القيم في الفوائد: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس) .

م (٩) : مراتب الإخلاص وأقسامه إلى أصل وكمال :

الإخلاص له مراتب يتفاوت الناس فيه، والإخلاص في نفسه يزيد وينقص في المؤمن يزيد إلى درجة الكمال وينقص إلى درجة الأصل الواجب، والناس يتفاضلون فيه على القاعدة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، والإخلاص من الإيمان.

ومن زال من قلبه أصل الإخلاص فهو إما كافر مشرك أو منافق كمن زال عنه أصل الإيمان، أما من زال كمال الإخلاص عنه فهو مسلم وقد يكون عاصيا.

فالإخلاص مثله مثل بقية أعمال القلوب وشروط التوحيد من المحبة واليقين والصدق وغيرها لها مرتبتان :

الأولى: أصل الإخلاص: وهو المتعلق بأصل الدين، وهذا لابد منه في الشهادتين، وإلا كان صاحبها كافراً مشركا أو منافقا .

والثانية: كمال الإخلاص :

وهذه المرتبة أصحابها بين من أتى بالإخلاص الواجب والمستحب، ومن أتى بالواجب وترك المستحب، ومن عنده أصل الإخلاص دون الواجب والكمال وهو

من ترك شيئا من الواجب وفرط في عمل معين في بعض أفراد العبادات وشاب إخلاصه شوائب وهذا كحال بعض أهل الرياء .

ومن الأمثلة : من يطمع في ما بأيدي الناس أو يلتفت لهم أو يتطلع للمدح ويهمه الذم ويتكدر منه أو في قلبه شيء من مهابة الناس والخوف منهم، وكذا المجاهد في سبيل الله وفي قلبه التفات للمغنم .

قال ابن تيمية : (وكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه) الفتاوى١/ ٢٦٠ .

وقال ابن تيمية : (النوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر كما في حديث البطاقة.... فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص) منهاج السنة ٦/ ٢١٨ .

م (١٠) : القوادح في الإخلاص:

الأولى : قوادح تقدح في أصل الإخلاص وتنقضه وتزيله بالكلية وتبطله وتفسده من أساسه وهي الشرك الأكبر وهذا حال المشركين والكفار والمنافقين.

الثانية : قوادح كمالية: تنقص كمال الإخلاص إلا أنها لا تزيله ولا تبطله وإنما تنقص منه وتقدح فيه، ولا يشترط في من نقص إخلاصه أن يكون واقعاً في الشرك الأصغر والعصيان، بل صاحب النقص في الكمال دائر بين المقتصد والظالم لنفسه .

والقوادح المنقصة له إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منها وأنقص منه ويعتبر صاحبه مسلما عاصيا فاسقا، مثل الشرك الأصغر كيسير الرياء.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال الإخلاص.

م (١١) : أمور لا تنافي الإخلاص :

١- الاجتهاد في الطاعة إذا رأى الصالحين لكونهم يعينوه على الخير بالاقتداء.

٢- فعل العمل الصالح والإخبار به إذا قصد صاحبه أن يقتدي به ويسن سنة حسنة فليس من الرياء .

٣- كتمان الذنوب وعدم الجهر بها وسترها وكره إطلاع الناس عليها .

٤- فرح العامل بثناء الناس ومدحهم فيما لو اطلعوا على العمل من غير أن يتعمد العامل إظهار عمله أو يسعى لينال المدح .

وفي الحديث عن عمر ﷺ مرفوعا : (من سرته حسناته وساءته سيئاته فذلك المؤمن) رواه الترمذي وأحمد .

وقال النبي ﷺ عن ذلك : (تلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم .

ولا ينافي ذلك قول النبي ﷺ لجندب الغامدي ﷺ لما قال : إني أعمل العمل لله فإذا أُطّلع عليه سرني، فقال ﷺ : (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه) ، وعن ابن عباس ﷺ قال: (كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام او تصدق فذكر بخير أرتاح له فنزلت فيه الآية ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾) وتقدم تخريجه.

لأن هذا والله أعلم إذا كان ذلك الملحظ قبل العمل .

٥- إرادة شيء من الدنيا مع قصد الله في العمل، كالذي يحج ويتاجر، وكمن يجاهد طاعة لله ويرجو تحصيل الغنيمة، وكذا الصوم والإنفاق والصدقة للدواء والاستشفاء وإن كان أجرهم لا يعدل من كان عملهم كله لله وخالصاً لوجهه .

وهذا من أحد أوجه زيادة الإخلاص وكماله .

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم ، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم) رواه مسلم .

عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ : رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضاً من الدنيا ، فقال ﷺ : (لا أجر له) رواه أبو داود.

وهناك فرق بين من كانت نية الدنيا مخالطة له من أول مرة بحيث تكون هي الباعث له على العمل أو من جملة البواعث ، وبين من كانت نيته خالصة لله من أول الأمر ثم عرض له من أمور الدنيا وهو لم يقصده ويبالي به حصل له أو لا.

م (١٢) : تحول العادات لعبادات بالنية والعكس :

كما أن أعمال الآخرة قد يراد بها الدنيا كذلك العكس أعمال الدنيا قد يريد بها المسلم الآخرة فيثاب عليها، فأهل الإخلاص الكمّل يحتسبون أفعالهم الجبلّية ويرجون من الله الكريم أن يثيبهم عليها لكونهم ينوون بها الاستعانة على العبادات ، وهذا شأن عباد الله المخلصين ، ومن ذلك احتساب الأكلة والنومة للتقوى على العبادة واللقمة توضع في فم الزوجة والولد وفي بضع أحدكم صدقة .

ويأتي هؤلاء الكرام في مقابل من حول عباداته إلى عادات خاوية عن روح التعبد والتأله لله وحسن النية ، والأسوأ حالا منهم من يلتمس بعباداته حظوظ الدنيا أو المدح والسمعة والرياء والعجب.

م (١٣) : محل الإخلاص وأركانه :

الإخلاص أصل محله وقراره : القلب والنية .

ويكون كذلك متعلقا باللسان والجوارح .

م (١٤) : **لوازم الإخلاص**: للإخلاص لوازم عدة من أعظمها:

الصدق والمحبة والقبول والانقياد والتوكل والتعلق بالله والتخلص من حظ النفس والإحسان للناس والخوف من الله ورجاؤه والتوبة .

أيضا مراقبة الله وحفظه ، وفي الحديث: (**احفظ الله يحفظك**) رواه الترمذي.

م (١٥) : **ما يضاد الإخلاص ويقابله وينقضه** :

١- الشرك عموما وعبادة غير الله تعالى

٢- النفاق.

٣- شرك النية والإرادة والقصد.

٤- شرك الرياء والسمعة والعجب.

٥- صرف الإخلاص لغير الله

٧- يدخل في إرادة الدنيا من يفعل المعصية للناس وهو داخل في شرك الطاعة كمن يحلق لحيته للوظيفة .

٨- أدخل البعض في شرك الإرادة والنية كل كفر. وقد أخذ هذا الفهم من تفسير أنس بن مالك وغيره لآية : (من كان يريد الحياة الدنيا) .

٩- إتباع الهوى والحسد.

١٠- التعلق بالدنيا والحرص عليها وتقديمها على مراد الله وأوامره .

١١- من يعمل العمل الصالح ولا يقصد به ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه به في الدنيا من حفظ المال والعيال، وهذا ليس له في الآخرة من نصيب كما قال ابن عباس .

م (١٦) : ثمرات الإخلاص:

وللإخلاص ثمرات كثيرة ومحاسن عليّة ومنازل نفيسة ومجالات عديدة وصفات وخصائص ، تذكر في كتب الرقائق وليس هذا مقام ذكرها .

وكل ذلك يوجب التنبيه على الإخلاص دوما ، فكم من أدعياء الإخلاص ويسمى الدعاة إلى الله لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه لا إلى الله.

م (١٧) : عبارة تدخل في شرك الإخلاص :

يوجد من يصرف الإخلاص ويوقعه لغير الله فيقول : لك يا فلان خالص شكري أو خالص تحياتي أو خالص رجائي أو لكم رجائي الخالص وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، فليس مجرد صرف الشرك لغيره وإنما جعلوا الإخلاص لغير الله ﷻ ليس مجرد أنه رجا غير الله أو حمد غير الله إنما جعل الإخلاص في ذلك لغير الله ﷻ .

م (١٨) : ضابط الإرادة الشركية (شرك الإرادة) :

١- إرادة الشيء كالناس والدنيا مع الخضوع والتذلل والرغبة وخوف فواته.

٢- تقديم الهوى والدنيا على مراد الله ومحبته وطاعته.

كمحبة المال وجمعه من كل وجه والبخل به والانشغال به عن عبادة الله.

وهذا المقصود بقول الرسول ﷺ : (تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط) رواه البخاري.

٣- إرادة ما يكرهه الله من المعاصي .

إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

م (١٩) : الشرك الأصغر في العبادات:

هل يوجد عبادة صغرى ، وحقيقة عبادة الدنيا والدينار ، وهل الشرك الأصغر فيه عبادة لغير الله ، ومثلها ألوهية اتخاذ الهوى إلها .

العبادة حق لله وخاصة به لا تصرف لغيره .

كما في حديث معاذ : (حق الله على العبيد).

والعبادة هي التذلل والخضوع والمحبة والتعلق والإرادة والتعظيم.

ومن تذللت له حبا وتعلقا فقد عبدته.

ولذلك من تعلق بهواه وخضع له وأحب ما يهوى فقد صار عبدا له.

ومن أراد الدنيا والمال وعظمها وأحبها وتعلق بها وأرادها فقد عبدها.

فمن تعلق قلبه بالدنيا حتى تصير همه ويضيع بسببها الواجبات ويفعل المحرمات ويوالي فيها ويعادي ويرضى بسببها ويسخط، فهذا يقال عنه عبد الدنيا .

لكن ليس المقصود بها العبادة الكلية الكبرى الحقيقية التي يكفر من صرفها لغير الله وإنما الصغرى التي تدخل في الشرك الأصغر، وسميت عبادة وجعلت منها لوجود بعض معاني العبادة فيها .

ومثلها العبادات الصغرى الشرك الأصغر في عبادة المحبة والخوف.

م (٢٠) : حقيقة عبادة الدنيا :

المقصود بقول الرسول ﷺ : (تعس عبد الدنيا إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط) رواه البخاري. وفيه تسمية الإنسان المسلم عبد الدنيا والدينار والمال .

عبودية الدنيا هذه فيها نوع من معاني العبادة ، لا أصل العبادة التي يكفر من صرفها لغير الله.

وذلك أنه لما كانت الدنيا هي مقصود الشخص ومطلوبه الذي عمل له وصارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى لها صار بذلك عبدا لها .

كما جاء تفسير ذلك في نص الحديث: بأنه إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط.

قال ابن رجب في فتح الباري عن حديث تعس عبد الدينار:(فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه).

تنبيه: ليس المقصود من الباب عدم حب المال ومباحات الدنيا وإنما المقصود أن تكون هي المقصودة والمرادة في قلب العبد.

قال ابن القيم في عدة الصابرين: (ما حكم من يريد الدنيا والآخرة ؟ إن الله علق السعادة بإرادة الآخرة والشقاوة بإرادة الدنيا، فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبها ومقتضاهما، وإن اجتمعتا فحكم اجتماع الطاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد ، ولا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله فإن الإيمان بالله يستلزم إرادة رحمة الله بأعماله، وحيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان).

الفصل الثاني : الرياء

م (١) : المراد بهذا الشرك شرك الإخلاص الرياء والإرادة:

أن يعمل العبد عملاً مما يراد به وجه الله والدار الآخرة والعبادة لا يريد الله بـه وإنما الدنيا وما في أيدي الناس أو مدحهم .

م (٢) : أقسام الشرك المتعلق بالإخلاص والإرادة والنية :

١- أن يقصد الإنسان بعمله وعبادته الدنيا وزينتها من مال ومتاع ومنصب .

وهذا شرك الإرادة والأصل فيه قوله:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ .

٢- أن يقصد الإنسان بعمله الرياء والسمعة وثناء الناس ومدحهم وهو داخل في القسم الأول .

م (٣) : حقيقة الرياء : عبادة النفس وطاعتها.

م (٤) : تعريف الرياء والسمعة :

مشتق من الرؤية وهو: أن يعمل الإنسان ليراه الناس أو يعمل شيئاً ليسمعه الناس فيحمد عليه ويثنى عليه ويمدح.

م (٥) : يلحق بالرياء السمعة: من يعمل العمل ليسمعه الناس أو يحدث بـه قاصدا غير الله، قال ﷺ : (من سَمَّعَ سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) متفق عليه.

م (٦) : الفرق بين شرك إرادة الدنيا وشرك الرياء :

أن هذا يريد المدح وذلك يريد الدنيا كمن يصلي أو يطلق لحيته ليقبل في وظيفة أو طلبا لمنصب أو مصلحة وهذا من الشرك في الإخلاص بل إخلاصه لغير الله ﷻ.

وأخطأ من جعل شرك إرادة الدنيا شركا أكبر مطلقا والرياء أصغر مطلقا .

م (٧) : أدلة الرياء :

قال تعالى : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ النساء: ١٤٢ .

وقال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠.

وهذه الآية نزلت في الصحابي جندب بن زهير الغامدي ﷺ .

فقد ذكر الواحدي في سبب نزولها عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت في جندب الغامدي وذلك أنه قال : إني أعمل العمل لله فإذا أُطلع عليه سرني، فقال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه) فأنزل الله الآية.

وعن ابن عباس ﷺ قال: (كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام او تصدق فذكر بخير أرتاح له فنزل في ذلك الآية) . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره وابن أبي حاتم ويحي بن سلام في التفسير والطبري والحاكم والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم.

وجندب وفد للنبي ﷺ مع غامد مرتين بمكة قبل الهجرة ووفد عليه بالمدينة.

عن أبي هريرة مرفوعا: (قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) رواه أحمد.

وقال ﷺ : (من سَمَّعَ سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) البخاري ومسلم.

وقال ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: (الرياء، يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً)أحمد.

وقال: النبي ﷺ: (يا أيها الناس! إياكم وشركَ السرائر) قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر)رواه ابن خزيمة والبيهقي.

عن أبي يعلى بن شداد عن أبيه قال: (كنا نعد الرياء في زمن النبي ﷺ الشرك الأصغر) رواه الحاكم والبيهقي.

م (٨) : حالات هذا الشرك :

١- أن يكون شركاً أكبر وله صور: كأن يدخل في الإسلام لحقن دمه كالمنافقين ، أو يكون معظم عمله وغالبه رياءً ، أو يرائي ويريد الدنيا بالأعمال التي تركها كفر ، كالصلاة المفروضة ليطلب بها ماعند الناس كالوظيفة كالإمام للمسجد. وهذا رياء المنافقين .

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٤٢.

٢- أن يكون شركاً اصغر : وهو يسير الرياء أو أن يعمل عبادة خاصة لأجل حاجة دنيوية كمن يحسن صلاته لينال من الدنيا أو طالبا المدح أو يتصدق بصدقة معينة لأجل مصلحة دنيوية لا يريد ما عند الله أو لأجل المدح والسمعة والرياء ، أو

أن يكون العمل أصله لله ثم يدخله الرياء أو حاجة دنيوية يطلبها وهذا العمل محبط لا يقبله الله ويأثم فاعله لكن لا يخرج فاعله من الإسلام، أو يصلي في المسجد ليثنى عليه أنه من أهل المساجد مع أنه سيصلي في بيته لو لم يقصد المدح فالمدح والرياء متعلق بالصلاة جماعة وليس لأصل الصلاة أو يتباهى بعلمه في مسألة ليرى الناس أنه عالم بها وكذلك من يحافظ على الإمامة والآذان لأجل الوظيفة والدنيا فهو داخل في عموم الآية إرادة الدنيا .

م (٩) : هل الرياء شرك أكبر أم أنه شرك أصغر :

هو من الشرك الأصغر ومن الشرك الخفي كما نص الحديث .

وبعض أهل العلم كابن القيم وغيره يفرق بين كثير الرياء ويسير الرياء فكثير الرياء شرك أكبر وقليل الرياء شرك أصغر، وقالوا : إن كثير الرياء هو شرك المنافقين .

م (١٠) : حالات الرياء :

الأول : إن كان العمل الصالح من أصله كان للرياء فهذا شرك ولا يقبله الله .

الثاني : الرياء الطارئ : إذا خالط العبادة وهو على قسمين :

فإن جاهده المرء ودفعه فله أجر وإن تركه واسترسل حبطت عبادته .

الثالث : لو طرأ الرياء بعد العمل :فمن أهل العلم من قال بحبوطه ومنهم من قال لا يحبطه لأنه لم يخالط عمله وإنما كان بعد العمل، والصحيح أنه إن لم يكن له فيه يد ولا سبب فلا يحبط أما إن كان هو الذي أعلم الناس بعمله فيحبط .

م (١١) : الرياء الخفي: بعض الأمور من القوادح الخفية في الإخلاص :

١- ترك العمل الصالح خوفاً من الرياء، لا ينبغي وهو من مداخل الشيطان . وعده الفضيل وغيره من السلف من الرياء .

٢- كذلك من الرياء الخفي ذم النفس والقدح فيها أمام الناس، ليقال لفاعل ذلك إنه متواضع. ومن جنس هذا ما يفعله الملامية الصوفية تفعل ما يلامون عليه.

٣- من الرياء الخفي ما يوجد عند بعض أهل العبادة والزهد والعلم من محبة أن يقدموا ويعظموا ويبدؤوا بالسلام، ويرون أنهم أفضل الناس وأن لهم حقاً لما قاموا به من عبادات وهذا الفعل في الحقيقة من الرياء والعجب وعبادة النفس.

م (١٢) : وسائل علاج الرياء :

١- معرفة عظمة الله تعالى .

٢- معرفة حقيقة المخلوقين الذين يتلمس رضاهم ومدحهم وما هم عليه .

٣- استشعار خطورة الرياء وشناعة عقوبته .

٤- مجاهدة النفس والاستعانة بالدعاء .

٥- الحذر من أسبابه والبعد عن دواعيه .

٦- كتمان العمل وإخفائه .

٧- معرفة قبح الرياء في الغير فانظر للمرائي وقبحه لتعلم قبحه بك إن فعلته.

٨- احتقار النفس ولومها كلما طلبت مدحا وثناء .

٩- المداومة على قول كفارته دائما .

م (١٣) : خطورة الرياء والحكمة من كونه أخوف شيء على الأمة:

الرياء خطره عظيم وهو أخوف شيء خافه النبي ﷺ على أمته وأخبر أنه أشد من الدجال وهو من أكثر ما يدخل النار وأن أول من تسعر بهم النار الثلاثة النفر العالم والمجاهد والمتصدق لأجل الرياء ، ووجه ذلك أنه يخفى مع تعلقه بالأعمال الصالحة وبالصالحين بخلاف الشرك الأكبر فمعروف والناس يحذرونه.

فلأجل أنه متعلق بالصالحين مع شدة خفائه كان مخيفا للمخلصين .

تنبيه : هناك مسائل متعلقة بهذا الباب (الرياء) بينتها في مبحث الإخلاص والشرك المتعلق به .

الفصل الثالث : كفر النعم وشرك المدح والشكر والثناء

المسألة الأولى : حقيقة هذا النوع من الشرك : يقوم على أصلين :

الأول : عدم شكر الله وإنكار نعمه وفضله ويدخل هذا في الكفر .

الثاني : شكر المخلوق ومدحه والثناء عليه ونسبة الإنعام والفضل إليه ويدخل هذا في الشرك .

الثانية: الألفاظ المرادفة في الباب : الثناء والشكر والمدح والحمد والذكر والتسبيح والتقديس والتنزيه والتحية والاستغفار والحلف .

الثالثة : خطورة هذا الشرك وغفلة البعض عنه وإعراضهم عن تبيينه :

هذا الشرك يعرض الكثير عن ذكره ولم أر من أفرده ببيان مع انتشاره وخفائه وتنوعه وكثرته وكون كثير من الناس يقع فيه من غير أن يشعروا.

الرابعة : أدلة هذه العبادة ودخول الشرك فيها:

الأدلة التي أوجبت هذه العبادة كثيرة منها: قال تعالى :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ طه: ١٣٠

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ نوح: ١٠.

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الصافات: ١٨٠

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ النور: ٣٦

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩١

أدلة دخول الشرك في الثناء:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ البقرة: ١١٤

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الصافات: ٣٥

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ النحل: ٨٣

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ البقرة: ٢٠٠

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم: ٣٢ .

وعن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ : (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان.

قال النبي ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) متفق عليه.

وفي الحديث قوله ﷺ : (قال ربكم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) متفق عليه .

الخامسة : حكم الشكر والحمد والثناء ودرجاته:

يجب أن نعبد الله بهذا الجنس من العبادة التي هي الحمد والشكر والثناء والمدح والتحية وبقية العبادات التي تعتبر من هذا الباب .

كما يجب الإخلاص فيها بأن يوحد الرب سبحانه بها ويفرد باستحقاقها .

وهذه العبادات كغيرها تقوم على درجتين :

الأولى: مطلق الحمد والشكر وجنسه وهذا ركن وهو من الأصل الذي لا يعتبر العبد مسلما ما لم يأت به ويكفر تاركه.

الثانية : الحمد المطلق وهو من الكمال المستحب الذي يتفاوت الناس فيه .

السادسة : علاقة الشكر ببقية العبادات :

هناك علاقة تربط الشكر والذكر مع كل العبادات وكل منها يدخل في الآخر، فالشكر والذكر والحمد تكون بالقلب والقول والعمل فهي ترادف العبادة فمن عمل طاعة فقد ذكر وشكر بالفعل فتكون هذه أعم من الثناء والحمد باللسان فقط.

كما أن الشكر يقوم غالبا على الخضوع والتعظيم والحب والرجاء والتوكل.

السابعة : حقيقة عبادة الشكر وكيفية تحقيقه :

الشكر مبني على خمس قواعد لا يتحقق إلا بها كما قال ابن القيم :

١- خضوع الشاكر للمشكور .

٢- حبه له .

٣- اعترافه بنعمته .

٤- ثناؤه عليه بها .

٥- ألا يستعملها فيما يكره .

وقال: أصل الشكر الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع والذل والمحبة .

تنبيه : الشكر والتوحيد متلازمان وقد قرن الله تعالى بينهما في مواضع ، وضد ذلك كفران النعم يلازم الشرك ، ولابن تيمية كلام جميل في هذه العلاقة .

راجعها في الفتاوى ٨/ ٣٣ .

الثامنة : لماذا يحمد ربنا تبارك وتعالى ويستحق الشكر وحده ؟

لكماله ولإنعامه وفضله ولجماله سبحانه ولربوبيته وألوهيته . ولكونه المنعم ابتداء من غير استحقاق ومن غير أن يكون للعبد في الإنعام حول أو قوة .

التاسعة : شرك المدح والثناء والشكر والإنعام يدخل في جميع أنواع الشرك :

أولاً : يكون شركا في الربوبية ويكون شركا في الألوهية :

يتعلق بالربوبية ، وذلك إذا نسب الإنعام إلى المخلوق .

ويتعلق بالألوهية إذا شكر الناس وتعلق بهم وذل لهم وعظمهم ورجاهم وتوكل عليهم في حصول النعم .

ثانياً : يكون من الشرك الأصغر ويكون من الشرك الأكبر :

إذا اعتقد أن إيجاد النعم يكون من الخلق استقلالاً ، فهذا من الشرك الأكبر.

إذا نسب النعم إلى الخلق من باب الأسباب ، فهذا من الشرك الأصغر.

ثالثاً : يكون شركا في التعطيل وشركا في التمثيل :

فيدخل في شرك التعطيل، إذا عطل الله من فعل الإنعام وعطله من أن يشكره.

ويدخل في شرك التمثيل، عندما ينسب الإنعام للمخلوق ويشكره عليها.

رابعاً : يكون شركا اعتقاديا وقوليا وعمليا.

فشرك المدح والثناء والإنعام والإنكار يحصل بالقلب واللسان والجوارح .

خامساً : ويكون كفرا وشركا :

يكون كفرا إذا لم يشكر الله وأنكر نعمته وفضله .

ويكون شركا إذا شكر المخلوق ومدحه ونسب الإنعام والفضل إليه .

تنبيه : لا يدخل في هذا الباب قول الرسول ﷺ:(هل تنصرون إلا بضعفائكم).

تنبيه: نسبة النعم للآلهة والأموات والأولياء وزعم أن ذلك من باب الكرامات فإن هذا لا يكون إلا من الشرك الأكبر ويتعلق بالربوبية والألوهية معاً.

تنبيه : قول: لولا فلان لما حصل لنا هذا الخير والفضل، شرك من جهتين :

فيه نسبة الإنعام والخير للخلق ويختلف الحكم بين اعتقاد السببية فيه والتأثير.

كما أن فيه أيضاً الاعتماد والتوكل على غير الله وشكره والثناء عليه.

فائدة جميلة : يحسن أن تنسب النعم والخير إلى الله والشرور إلى أسبابها من باب التأدب مع الله مع اعتقاد أن الله خلقها وقدرها .

وقد أشار الله لهذا الأدب في مثل قوله تعالى:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ .

فائدة : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

المعرفة ضد الجهل وضد الإنكار ، والإنكار يطلق على : إنكار القلب وهو الجهل وعلى إنكار اللسان مع اعتراف القلب وهو الجحود .

وفي قوله : (وأكثرهم الكافرون) يدخل في جميع أنواع الكفر .

قيل في تفسيرها: قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي ، أو لولا فلان لم يكن كذا، أو هذا بشفاعة آلهتنا.

قال ابن القيم عن الأقوال الثلاثة السابقة في شفاء العليل : (لما أضافوا النعمة إلى غير الله ، فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها لغيره ، فالذي قال:إنما كان هذا لآبائنا ورثناه، جاحدا لنعمة الله عليه غير معترف بها مع أن الإنعام بالإرث أبلغ ، وأما قول : لولا فلان فيتضمن قطع النعمة إلى من لولاه لم تكن وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، وغايتها أن تكون سببا لا يستقل بالإيجاد ومع ذلك جعله سببا من نعم الله . وأما قول بشفاعة الآلهة فيتضمن الشرك مع إضافة النعم ، والشفاعة بإذنه من نعمه فهو المنعم بها وبقبولها . فمن المنعم في الحقيقة سواه وما بكم من نعمة فمن الله) بتصرف.

قال ابن تيمية في الأدلة على شرك من يضيف إنعامه إلى غيره : وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

مستدلا بحديث الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر لها في الصحيحين.

العاشرة : أقسام شرك الثناء والمدح:

الشرك الأكبر : ومن ذلك ذكر المشركين لآلهتهم المعبودة والمطاعة والمتبعة، وتعظيمها وتسبيحها وتنزيهها ونسبة الخير إليها والفضل منها وحمدها ومدحها وطلب استغفارها والغضب على من يتنقصها والغيرة عليها .

الشرك الأصغر : كالمبالغة والتفاني في الثناء على المخلوق وإطرائه ، وحمد الناس على رزق الله .

قال تعالى :﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم: ٣٢ .

قال ﷺ : (إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) رواه مسلم .

وقوله ﷺ لمادح بين يديه : (قطعت عنق صاحبك) رواه أبو داود.

وقوله ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) متفق عليه.

الحادية عشرة : حالات وأقسام مدح المخلوق والثناء عليه :

أولا : المدح الشركي : وضابطه: أن يمدح المخلوق على أفعال الله ونعمه أو إذا قارن المدح التعظيم والخضوع والتذلل المطلق .

ثانيا : المدح والشكر الجائز :

وهو ما كان من قبيل العادة والعرف من دون إطراء أو غلو، وستأتي أدلته .

ثالثا : المدح المحرم :

وهو مدح من لا يستحق المدح ، ومدح الانسان نفسه وبما ليس فيه .

﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ ﴾ آل عمران: ١٨٨ .

وقال النبي ﷺ : (لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إن قلتم ذلك أغضبتم ربكم) رواه الحاكم.

أو نسبة النعمة إليه والالتفات له والمبالغة، وتقدمت أدلته.

م (١٢) : يجوز نسبة النعمة للخلق من باب الإخبار، وباب كونه سببا للفعل، ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله ومدحه من دون مبالغة فيه ونسيان المنعم حقا.

يدل لذلك قوله ﷺ : (من لم يشكر الله لا يشكر الناس) رواه الترمذي.

وقوله ﷺ : (من صنع لكم معروفا فكافئوه) رواه أبو داود.

وقوله ﷺ في أبي طالب:(لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) متفق عليه.

وثناء الله على عباده كما في قوله:﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص: ٤٤ .

وقوله ﷺ : (نعم الرجل عبدالله) رواه البخاري.

م (١٣) : أوجه إنكار النعمة وصور كفرانها :الواردة في سورة النعم (النحل):

قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾.

١- نسبة الإنعام والفضل لغير الله تعالى.تكذيبا بقوله تعالى :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ النحل: ١٨.

٢- شكر الخلق على نعم الله .

مصداقا لحديث: إن من ضعف اليقين أن تحمد الناس على ما رزقك الله .

٣- أن يعتقد العبد أنه مستحق للنعمة وأن له حق فيها . كما أخبر تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ فصلت: ٥٠

٤- عدم القيام بشكر الله باللسان والقلب والجوارح ، أو قلة الشكر.

كما أخبر تعالى:﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ: ١٣ .

٥- استخدام نعم الله تعالى في معاصي الله . كما أخبر تعالى :

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢.

٦- احتقار النعم وازدراؤها وإهانتها، ومن ذلك: رمي النعم والطعام في الزبل، والصيد بغير قصد الأكل، وهذه انتشرت في زماننا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال النبي ﷺ : (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) رواه مسلم .

تنبيه : أكثر الناس في نعم الله في طرفي نقيض :

منهم من أنكر نعم الله وجحدها وأظهر الفقر وبخل بالمال فتراه دائم الشكاية عديم الشكر والاعتراف لله بالجميل بحجة التواضع أو خوف العين والحسد أو خوف أن يطلبه الناس العون ، ومنهم من يبذخ ويبطر ويسرف ويدعي أن هذا من الاعتراف بالنعمة والتحدث بها .

وقد ذم الله الحالين في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ .

الرابعة عشرة : آلات الشكر والمدح والثناء وضد ذلك من الكفران :

١- يكون بالقلب : وذلك باعتقاد أن الله هو الموجد للنعم والخالق والمتفضل والاعتراف له بالفضل ، وعدم اعتقاد استحقاق النعم أو أن المنعم أحد من الخلق.

٢- يكون بالقول : بالثناء على الله وشكره باللسان وعدم نسبتها لغيره.

٣- يكون بالعمل: وذلك باستخدامها فيما يرضيه وعدم الاستعانة بها على المعاصي، واستعمال الجوارح في طاعة الله فالعبادات البدنية كلها داخلة في الثناء.

﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ الضحى: ١١ ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًا ﴾ سبأ: ١٣.

الخامسة عشرة : الفرق بين الحمد والشكر والمدح والثناء :

١- الحمد يكون باللسان فقط ويكون مقابل نعمة كالإنعام ويكون في غير مقابلة نعمة كالحمد على الشجاعة وكحمد الرب تعالى على عدم اتخاذ الولد.

الحمد يتضمن الثناء مع العلم بما يثنى به وإن انعدم العلم كان مدحا لا حمدا.

كما أن المدح يكون في الأعمال الظاهرة .

وإن كان الإخبار عن المحاسن مصحوبا بالحب والإجلال والرضا والإرادة فحمد وإن تجرد عن المحبة ولم تقارنه هذه الحالة فمدح.

كما أن الحمد إذا عرف بأل كان خاصا بالله لا يطلق على غيره تعالى إما ملكا أو استحقاقا والرب تعالى يمدح عباده الصالحين ويثني عليهم ولا يحمدهم لأن الحمد ليس إلا لمن علم بمحاسنه وكماله وهذا معدوم في غيره تعالى.

٢- الشكر يكون باللسان والعمل ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ سبأ: ١٣.

ولا يكون إلا في مقابل نعمة ، وأيضاً ما للعبد فيه اختيار كالكرم .

٣- المدح يكون فيما يقابل نعمة وفيما ليس كذلك ، وفيما للعبد فيه اختيار وما ليس كذلك كالجمال ، ويكون باللسان فقط .

٤- الثناء أعم من ذلك كله فيشمل كل ما سبق إضافة على أنه يكون الثناء بالشر كما يكون الثناء بالخير ومنه حديث : (فمرت جنازة فأثنوا عليها شرا) رواه البخاري ، والثناء أخص من حيث يطلق على تكرار المحامد .

وإذا كان الإخبار عن المحاسن المتعلقة بأوصاف العظمة والجلال فالمجد وإن كانت أوصاف جمال وإحسان فحمد .

وهذا بين من حديث الفاتحة وقول ربنا تقدس وتعالى حمدني عبدي ومجدني وأثنى علي .

مستقى الفروق من كلام الإمام ابن القيم في البدائع ٢/ ٩٥ وغيره.

فائدة : التحيات لله عز وجل :

وهذه خاصة به فلا تصرف لغير الله يدل لذلك حديث التشهد:(التحيات لله) ، وأما ما يقال ويجري على بعض الألسنة وهو لا يجوز كقولهم لبعضهم: لك خالص شكري أو لكم خالص تحياتي، ونحو ذلك مما يسمع كثيراً.

فائدة : الحلف له تعلق بالحمد والثناء .

السادسة عشرة : السب والذم ضد المدح يكون عبادة :

سب الكفار والمشركين وذمهم وإهانتهم وعيب آلهتهم، من أعظم العبادات ، كما أمر الله تعالى في قوله : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩

﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ النمل: ٣٧

﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ التوبة: ١٢٠

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩ .

وكل هذا يدخل ضمن البراءة من الكفار ومعاداتهم والكفر بالطاغوت، وهذه هي ملة إبراهيم .

وأما النهي عن سب آلهة المشركين فهذه حالة مخصوصة وليست عامة، والكلام عن ذلك مبين في شرح النواقض.

تنبيه : صور معاصرة لشرك المدح والثناء ذكرتها في شرح النواقض .

الفصل الرابع : الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله

المسألة الأولى: تعريفهما :

أولا: الأمن : هو طمأنينة القلب وعدم الخوف .

ثانيا : اليأس والقنوط : قطع الأمل وعدم الرجاء . واليأس أشد من القنوط .

وقيل اليأس استبعاد زوال المكروه والقنوط استبعاد حصول المطلوب .

الثانية : الأمن واليأس ضدان .

الثالثة: تعلقات اليأس والأمن :

أولا : تعلقات اليأس : يتعلق بالرحمة وروح الله ، ويتعلق بعدم رجائه.

وروح الله رحمته وترويحه وتفريجه .

ثانيا: تعلقات الأمن : يتعلق بمكر الله ، ويتعلق بعدم خوفه .

مكر الله : هو استدراج الله عباده العصاة وعقوبتهم من حيث لا يشعرون .

الرابعة أدلتها : أولاً : دليل اليأس والقنوط :

قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧.

وقال : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦ .

وقال : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣.

ثانياً : دليل الأمن :قال ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النحل: ٤٥ ، ثم ذكر عبادة الخوف بعد آيات الأمن.

وقال ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٩.

وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ يوسف: ١٠٧ .

وهناك أدلة جمعت بين الأمن واليأس معا :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ يونس: ٧-٨ .

حديث ابن عباس يرفعه : الكبائر:(الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله) رواه البزار وابن أبي حاتم في تفسير.

ونحوه أثر ابن مسعود عند عبد الرازق وزاد: والقنوط من رحمة الله.

الخامسة: ما يضاد الرجاء :

يضاد الرجاء القنوط واليأس، ويقابل الرجاء اليأس والقنوط ، فإذا كان رجاء الله عبادة واجبة يأثم تاركها،فإن ضدها الذي هو اليأس من رحمة الله يعتبر أمراً محرماً وقد يكون كفرا عند مقارنته ترك الرجاء بالكلية، لذلك لا يجوز اليأس من رحمة الله.

السادسة: ما يقابل الخوف ويضاده :

يقابل الخوف الأمن، فإذا كان الخوف من الله عبادة واجبة يأثم تاركها، فإن ضدها الذي هو الأمن من مكر الله يعتبر أمراً محرماً، بل وقد يكون كفرا عند مقارنته ترك الخوف بالكلية، لذلك لا يجوز الأمن من مكر الله وعقابه سبحانه .

وأما الرجاء فحالة تخالط الخوف ولا تعارضه أو تناقضه .

قال المقدسي في منهاج القاصدين : (الخوف ليس ضد الرجاء بل رفيق له) .

السابعة: الغلو في الرجاء يسبب الأمن من مكر الله :

إذا غلا العبد في الرجاء مع إقامته على المعصية ويصر عليها ودون أن يعمل صالحاً ويكف عن حرام، فقد وقع في الأمن فيصير آمنا من مكر الله وعذابه .

الثامنة: الغلو في الخوف يسبب اليأس من رحمة الله :

إذا غلا العبد في الخوف ولم يرج رحمة الله ، فقد يقع في القنوط واليأس ويصير يائسا من رحمة الله قانطا من كرمه .

التاسعة: العبادة التي افتقدها القانط والآمن :

القانط ترك عبادة الرجاء : فهو لم يعبد الله بالرجاء .

والآمن ترك عبادة الخوف : فهو لم يعبد الله بالخوف منه .

العاشرة: حكم اليأس والأمن :

الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله واليأس من روحه، ينافيان التوحيد.

ويتدرج صاحبهما بين القدح في أصل التوحيد والوقوع في الكفر والشرك الأكبر، أو نقص كماله والوقوع في الشرك الأصغر والمعصية.

الآمن واليائس دائر بين الكفر والعصيان بين القدح في أصل التوحيد وكماله.

اليأس والقنوط يكون كفرا وضلالا، وهو متعلق بأمور الدين وأمور الدنيا .

ويكون باستبعاد حصول المراد كما في قصة يعقوب ونهيه عن اليأس من لقاء ابنه وإبراهيم في عدم قنوطه من الولد.

الحادية عشرة: ترك الخوف أو الرجاء مطلقاً من الكفر ومن نواقض الإسلام :

الخوف عبادة لله يجب أن تصرف له، والذي لا يوجد عنده مطلق الخوف وأصله وجنسه، أي أنه لا يخاف من الله بالكلية ولا يخشى عقابه مطلقاً، فهذا كافر والعياذ بالله، وهذا بخلاف من قصّر في الخوف من الله وأمن الله ورجاه لكمال رحمته وأفرط على نفسه حتى أمِن من عقابه، فهو وإن كان لم يأت بالخوف الواجب فضلا

عن المطلق والكامل إلا أنه يوجد عنده أصل الخوف، وهو مع هذا عاصٍ في فعله متوعد بالعقوبة، وفي الأثر (من أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة) أخرجه أبو نعيم.

وكذا الرجاء عبادة لله يجب أن تصرف له، والذي لا يوجد عنده مطلق الرجاء وأصله وجنسه، أي أنه لا يرجو الله بالكلية ولا يرغب إليه ولا يطمع في ثوابه مطلقاً، فهذا كافر والعياذ بالله، وهذا بخلاف من قصّر في الرجاء من الله لكثرة ذنوبه، إلا أنه يوجد عنده أصل الرجاء، فهو عاصٍ في فعله متوعد بالعقوبة .

الثانية عشرة: وجوب الجمع بين الخوف والرجاء :

ينبغي للمؤمن أن يجمع بين عبادة الخوف وعبادة الرجاء ولا يغلب أحدهما .

وقد أمر الله ﷻ بالجمع بين الخوف منه ورجائه وأثنى على من جمع بينهما في مواضع من كتابه ، قال تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ الإسراء: ٥٧ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ الزمر: ٩ ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

قال الإمام أحمد : (ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا، فأيهما غلب هلك صاحبه) الآداب لابن مفلح .

قال ابن تيمية : (الخشية متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت قنوطا ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمنا) الفتاوى ٧/ ٢١.

قال الطحاوي في عقيدته : (والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام) .

الثالثة عشرة: أسباب الأمن واليأس :

١- الجهل بالله وبصفاته وأنه شديد العقاب وهو أيضا غفور رحيم .

٢- عدم القيام بالعبادة الواجبة من الخوف والرجاء، وترك الجمع بينهما.

٣- عدم تعظيم الله وتقديره حق قدره وسوء الظن به.

٤- الإعراض عن الدين والغفلة عن حقوق الله تعالى.

٥- العجب بالنفس والغرور في الأمن، وكثرة الذنوب في اليأس.

الرابعة عشرة: علة كون القنوط من الشرك ووجه منافاته للتوحيد :

١- أن القانط شبّه الرب الرحيم بالمخلوق الذي لا يرحم .

٢- أن القانط قدح في رحمة الله وكرمه وعفوه وطعن في قدرته .

٣- أن القانط اليائس لم يأت بعبادة الرجاء الواجبة التي قد يكفر تاركها.

٤- أن القانط أساء ظنه بربه، وقدح في كمال صفاته.

الخامسة عشرة: علة كون الأمن من الشرك ووجه منافاته للتوحيد :

١- أن الآمن شبّه الرب الرحيم بالمخلوق الذي لا يخاف .

٢- أن الآمن قدح في عظمة الله وأساء ظنه بربه وقدح في كمال صفاته.

٣- أن الآمن لم يأت بعبادة الخوف الواجبة والتي قد يكفر تاركها.

٤- أن الآمن استخف بربه وشك في كونه شديد العقاب.

السادسة عشرة : علاقة الأمن والقنوط بالوعيدية والوعدية :

الوعيدية من خوارج وغيرهم : يغلبون الخوف وعندهم اليأس .

الوعدية من المرجئة وغيرهم : يغلبون الرجاء وعندهم الأمن .

الفصل الخامس : الصبر على الأقدار والرضا بها وعدم الجزع منها

م (١) : تعريف الصبر :

الصبر هو الكف والحبس ، أي حبس النفس عن الجزع .

سمى الله الصبر إيماناً كما في آية باب الصبر على المصيبة، كما فسره علقمه.

م (٢) : وجه دخولها في التوحيد :

الصبر عبادة يحبها الله وأمر بها ، والصبر يكون على دين الله والرضا به وفعل أوامره وترك نواهيه ، والصبر على أقدار الله وعدم الجزع منها والتسخط عليها .

ويدخل الصبر في الإيمان بالقضاء والقدر.

م (٣) : أنواع الصبر :

١- الصبر على الشرع بامتثاله والرضا به :

ويكون على فعل الطاعات والأوامر وترك المحرمات والنواهي .

٢- الصبر على القضاء ، وعدم الجزع منه والتسخط عليه .

م (٤) : دليل الصبر:

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦ .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ التغابن: ١١ .

م (٥) : يكون الصبر لغير الله فيقع فيه الشرك:

قال تعالى عن الكفار: ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُواْ وَاصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ ص: ٦ .

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ الفرقان: ٤٢ .

م (٦) : آلات الصبر وضده الجزع: يكون بالقلب واللسان والأفعال .

م (٧) : مراتب الصبر على الأقدار :

الإيمان بها ، الصبر عليها ، الرضا بها ، الشكر عليها .

م (٨) : درجات التعامل مع القدر إذا كانت مصيبة :

الإيمان بأنها من عند الله وهذا ركن واجب.

ثم الصبر وعدم الجزع وهذا واجب .

ثم يأتي الرضا، واختلف العلماء فيه والصحيح أنه مستحب .

ثم الشكر وهذا مستحب وهو الكمال .

م (٩) : الفرح والحزن لا علاقة لها بالتعامل مع القدر :

فالحزن على المصيبة يجوز إذا لم يقارنه سخط كحزن النبي ﷺ لفراق إبراهيم.

م (١٠) : علاقة المسألة بالصبر والرضا على الشر :

وهل في قدر الله شر، والتفريق بين القدر الذي هو فعل الله والمقدور المفعول المخلوق كالمعاصي . سنأتي بها في باب القدر رقم (٦٠) .

م (١١):وجه كون الفخر بالحسب والطعن في النسب من الشرك الأصغر:

لأن فيها تكبراً على الخلق وتعالي وتعاظم من جهة ، وعجباً من جهة أخرى .

وهذا مناف لكمال التوحيد من الذل لله والتواضع ، كما أن فيه طعناً في خلق الله وأقداره وعدم صبر عليها ، وكل ذلك من الشرك الأصغر.

تنبيه : يتبع باب الصبر مبحثان :

الأول : مبحث : حكم الرضا بالقدر.

الثاني : مبحث : الاحتجاج بالقدر .

مبحث : الرضا بالقدر

م (١) : الرضا أكمل من الصبر ، إلا أنه يدخل في الصبر .

م (٢) : دليل عبادة الرضا: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.

م (٣) : الرضا يكون بالله وبقدره وبرسوله ودينه.

م (٤) : الرضا بالقدر يشمل الرضا بالقدر والمقدَّر والمقدور .

م (٥) : الرضا بالقدر ومحبته :متعلق بأفعال الله أما المفعولات ففيه تفصيل .

قال ابن القيم:(فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط المقضي حين يكون بالعصيان).

م (٦):هذه المسألة تتعلق بفعل العبد من ناحية وبفعل الرب من ناحية أخرى.

م (٧) : حكم الرضا بالقضاء :

يجب عند الجواب على هذه المسألة من الاستفسار والتفريق في أمرين :

الأول: التفريق بين فعل الله وبين فعل المخلوق المقدور .

لأن القدر يطلق على فعل الله وعلى مفعوله المخلوق.

الثاني: التفريق بين الخير والشر من ناحية الرضا به ويأتي .

م (٨) : حكم الرضا بالمصائب والمخلوقات والمعاصي :

الأول: أنا أُمرنا بأن نرضى بالمصائب دون المعائب، فنرضى بالفقر والمرض ولم نؤمر بالرضا بالمعاصي والكفر .

الثاني: أن القضاء غير المقضي فنرضى بالقضاء لأنه فعل الله سبحانه .

وأما المقضي فهو فعل العبد فينقسم المقضي المخلوق كفعل العبد إلى خير كالطاعة والإيمان فنرضى بها، وشر ومعصية وكفر فلا يحل ولا يجوز أن نرضى بها بل ننكرها ونفعل الأسباب التي تزيلها من التوبة والاستغفار وإنكارها .

فالمعصية قدّرها الله فنؤمن بذلك. ولكن العاصي لا نرضى بمعصيته بل ننكرها عليه حتى تزول المعصية .

ولم يخالف في الرضا بالمعاصي إلا الصوفية وغلاة الجبرية المكذبين بالشرع .

الثالث: أن الشر والمعاصي تختلف في إضافتها للخالق والمخلوق:

فهي من الله عز وجل خلقاً وتدبيراً وتقديراً، وهي من العبد فعلاً وتركاً .

فإذا أضيفت إلى الله فهي قضاء وقدر ونرضى بالقدر من هذا الوجه، ونعلم أن فيها أوجه خير مثل طلب التوبة وغيرها ، وإذا أُضيفت للعبد فهي معاصٍ، وأفعاله نسخطها ولا نرضى بها ويجب أن نسعى في إزالتها وتغييرها .

الرابع: أن الله تعالى لم يرض لنا أن نكفر ونعصى فلا يرضى لعباده الكفر، والله ﷻ لا يحب المعاصي والفساد ولا يرضاها بل كرهها ومقتها، فعلينا أن نوافق الله في رضاه فنرضى بالطاعة، ونسخط ونكره المعصية، وقد أمرنا بطلب الشرع لا القدر .

مفاده من منهاج السنة لابن تيمية ٣/ ٢٠٣ .

وخالف في المسألة الجبرية: فقالوا: يجب الرضا بالمعاصي لأنها من القدر .

وخالفت القدرية: فقالوا المعاصي يحرم الرضا بها، لأنها ليست من القدر.

مبحث : الاحتجاج بالقدر

م (١) : مسوغات الاحتجاج بالقدر:

١- عند المصائب التي تحل بالإنسان، مثل الأمراض والفقر وغيرها .

٢- الذنب إذا تاب منه الإنسان، فيحتج بالقدر ولا يجوز أن يلام التائب.

والاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه .

ويضر الاحتجاج بالقدر فيه إذا كان على الذنب حال فعله كما فعل المشركون.

م (٢) : أحوال الناس في الاحتجاج بالقدر :

١- منهم من يحتج به في المصائب دون المعائب ، وهؤلاء أهل الحق.

٢- منهم من يحتج بالقدر على المصائب والمعائب (الذنوب وكل عيب).

٣- منهم المعرض فلا يحتج بالقدر لا في المصائب ولا في المعائب.

٤- المحتج بالقدر في المعائب دون المصائب وهؤلاء شر الناس وخصماء الله .

فإذا أصاب المحتج مصيبة ربما يجزع ولا يحتج بالقدر، وأما إذا عصى الله وأذنب فتراه يحتج بالقدر عليها . وهناك لوازم فاسدة على هؤلاء ، من تعطيل الشرائع والتسوية بين الكافر والمؤمن، والاستغناء عن التوبة والدعاء والجهاد والاستغفار .

والاحتجاج بالقدر حيلة العاجز وهي حجة إبليسية قديمة، أحتج بها إبليس والعصاة من بعده، ولكن لم ينفعهم ذلك ، وجاء الرد عليهم في الشرع والعقل .

م (٣) : أقسام المحتجين بالقدر :

الأول: مبتدع ضال مخالف بأصوله الفاسدة وهم الجبرية والمشركون.

والجبرية الغلاة يحتجون بالقدر على المعاصي لأن الله كتبها وقدّرها .

الثاني: معاند يضرب الشرع بالقدر ويعارض بينهما زندقةً، كما فعل إبليس.

الثالث: عاصٍ صاحب هوى وشبهة ويعلم أنه لا تعارض ولكن ليسلم من اعتراض الناس ويخرج من اللوم وهذا يلام ولا يبدّع وهذا يكثر في الفساق .

الرابع: القدرية: لا يحتجون بالقدر على المعاصي : لأنهم لا يرونها مقدره .

الخامس: أهل السنة ومذهبهم واضح آمنوا بالشرع وآمنوا وأقروا بالقدر وهم يحتجون بالقدر عند نزول المصائب ولا يحتجون به على ذنوبهم.

م (٤) : حديث احتجاج آدم وموسى وحكم النبي ﷺ لآدم:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ـ وفي لفظ احتج آدم وموسى عند ربهم فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ـ فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة . فقال النبي ﷺ : حج آدمُ موسى). متفق عليه.

فآدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب ، فهوا أعلم بربه وذنبه وأعرف بربه من أن يحتج بقدره على معصية، وموسى كان أعرف بالله وبأسمائه وصفاته وأعرف بأبيه وذنبه من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاجتباه ربه وهداه واصطفاه .

وإنما اللوم وقع على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا الخطيئة والمعصية وغلب موسى بالحجة.

الفصل السادس : الحكم بغير ما أنزل الله الذي يعد من الشرك الأصغر

الحكم بغير ما أنزل الله الذي لا يخرج من الملة لكنه من وسائل الشرك هو من يحكم متعمدا بغير ما أنزل الله في بعض القضايا والواقعات اليسيرة كمن يحكم لشخص معين في حادثة مفردة بداعي الشبهة أو الشهوة أو الهوى أو الظلم، وليس ديدنه ذلك فليس ملتزما الحكم بغير ما أنزل الله وإنما هي حالات نادرة .

قال محمد بن إبراهيم : (وأما الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها ، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل) الفتاوى١٢/ ٢٨٠ .وقال في تحكيم القوانين : (القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة – والذي قال فيه ابن عباس كفر دون كفر– وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى) .

قال أحمد شاكر معلقاً على كلام ابن عباس كفر دون كفر: (وهذه الآثار عن ابن عباس مما يلعب به المضلون في عصرنا من المنتسبين للعلم يجعلونها عذراً في إباحة القوانين الوثنية الموضوعة التي ضربت بلاد المسلمين).

وقال ابن تيمية : (وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص وأما إذا حكم حكماً عاماً في دين المسلمين ...) [الفتاوى ٣٥/ ٣٨٨] .

وقال : (ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ... وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة ولا يحكمون في الأمور الكلية) منهاج السنة ٥/ ١٣٠ .

الفصل السابع : التوسل

المسألة الأولى : تعريفه :

من الوسيلة وهي التقرب، وما يوصل للمراد ويقرب للمقصود.

والمقصود به : التقرب إلى الله بأمر من الأمور وفعل ما يقرب إليه تعالى.

وبمعناه الخاص: هو دعاء الله ﷻ بوسيلة يضعها الداعي .

المسألة الثانية: التوسل يدخل في باب الشرك الأصغر وذرائع الشرك.

وقد خالف في هذه التوسلات المبتدعة كثير من المتأخرين وجوزوها .

المسألة الثالثة : الفرق بين التوسل والتبرك :

التوسل دعاء الله بالوسيلة المقربة وأما التبرك فهو طلب البركة العينية من الذات التي يظن أن فيها بركة ونفعا في ذاتها .

المسألة الرابعة : الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة:

أن التوسل دعاء لله ﷻ والتوجه إليه متوسلاً بالغير (المخلوق) ، لا أن يدعى نفس المخلوق ويتوجه إليه ويستغاث به فإن هذا شرك أكبر.

أما الاستغاثة والشفاعة فهي دعاء غير الله تعالى .

فالتوسل أن يقول : اللهم إني أسألك بحق نبيك أو بذات نبيك أو بجاه نبيك أن تغفر لي، وهذا دعاء لله فهنا المتوسل دعا الله ﷻ وما دعا غيره ، وهو توسل ممنوع، ولكن لا يصل إلى الكفر الأكبر وإنما هو من الشرك الأصغر .

أما المستغيث والمستشفع فقد دعا غير الله ووقع في الشرك الأكبر، فبدل أن يقول : يا الله، يقول : يا محمد أو يا نبي الله إشفع لي وأغثني فهنا دعا غير الله ﷻ أو

اشفع لي عند الله، وهذا دعاء لغير الله، وهذه استغاثة وليست توسلا، فكيف يسوى بين هذين الأمرين دعاء الله ﷻ ودعاء غيره، فدعاء غير الله شرك أكبر وأما دعاء الله لكن بطريقة مبتدعة خاطئة فلا تعدو أن تكون من الأمور المحرمة أو الشرك الأصغر.

الخامسة: تسمية مشركي زماننا الاستغاثة بالخلق ودعائهم توسلاً:

يسمي مشركوا عصرنا من القبورية والصوفية والرافضة استغاثتهم بالأموات ودعائهم إياهم من دون الله توسلاً، وإذا قلنا لهم إن هذا من الشرك الأكبر، قالوا: إن هذا من باب التوسل الذي فعله الصحابة وأمر الله بها ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ المائدة: ٣٥ وهو من تعظيم الأولياء والصالحين، والحق أن الوسيلة هنا هي فعل الطاعات وترك المحرمات وليس طلب الشفعاء والشرك بالمخلوق.

المسألة السادسة : أقسام التوسل :

ينقسم التوسل إلى : توسل مشروع ، وتوسل ممنوع .

القسم الأول : التوسل المشروع : وهو أنواع :

الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته ﷻ.

كأن يقول الداعي: اللهم إني أتوسل إليك برحمتك أن ترحمني أو اللهم يا رحمن ارحمنا، اللهم يا جبار عليك بالكفار أو أجبر كسرنا .

ودليله قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٨٠، يعني توسلوا بها، وهذا هو التوسل بأسماء الله وصفاته .

الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة :

كأن يقول العبد مثلاً: اللهم إني أتوسل إليك بمحبتي لرسولك ﷺ أو بإيماني به أو أتوسل إليك بجهادي أو أتوسل إليك بعملي الصالح الفلاني .

ودليل هذا النوع حديث الثلاثة النفر من بني إسرائيل الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسل أحدهم بعفته عن الزنا خوفا من الله والثاني توسل ببره بوالديه والثالث توسل إلى الله بوفائه بالأمانة. فهؤلاء توسلوا بعمل صالح وتقبل الله ﷻ دعاءهم بسبب هذا التوسل .

الثالث: التوسل بدعاء الصالحين :

دليله : ما فعله عمر مع العباس رضي الله عنهم أجمعين .

وقول عمر: (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك ، وإنا نتوسل بعم نبيك) ، قم ياعباس ، ادع الله أن يغيثنا وهذا توسل بدعاء الصالحين .

الرابع: التوسل بالاعتراف بالذنب :

مثل موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ ﴾ القصص: ١٦ .

اعترف بذنبه وطلب مغفرة ربه ﷻ فغفر الله له .

الخامس: التوسل بإظهار الضعف والمرض:

كما قال أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ الأنبياء: ٨٣ .

وكقول يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧ .

وكأن يقول الإنسان : يا رب أتوسل إليك بضعفي ومرضي أن تشفيني وتعافيني وتغفر لي ونحو ذلك .

القسم الثاني : التوسل المحرم الممنوع : وله أنواع :

الأول: التوسل بالذات .

مثل قولهم : اللهم إني أتوسل إليك بذات نبيك محمد أو بذات عبدك الصالح فلان أو بذات الولي الفلاني . فهو لا يتوسل بدعائه فلا يقول : ادع الله لي يا فلان وهو حي، ولكن يقول أتوسل إليك يا الله بذات عبدك فلان .

وهذا توسل ممنوع .

الثاني: التوسل بالجاه والمكانة :

فيقول : اللهم إني أتوسل إليك بمكانة نبيك محمد عندك أو بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أو بجاه فلان .

وهذا أيضاً توسل ممنوع وهو لا يجوز لأمور :

١ - لأن مكانة وجاه النبي ﷺ أو غيره لا تنفع أحداً إلا صاحبها.

٢ - ثم في غير النبي ﷺ غير مؤكدة فقد يتوسل إنسان برجل ولا يعلم هل هو من المقبولين عند الله أو ليس من المقبولين، فيقول: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان وقد لا يكون له جاه عند الله ﷻ أصلا.

الثالث : التوسل بحق السائلين :

فيقول الداعي: اللهم إني أتوسل إليك بحق نبيك أو بحق فلان الصالح الولي الصالح أو بحق السائلين أو نحو ذلك وورد فيها حديث وهو ضعيف: (اللهم أسألك بحق ممشاي أو بحق السائلين) ولا يصح الاحتجاج به .

ومما يرد هذا النوع من التوسل:

١ - أنه ليس على الله ﷻ حق واجب فلا يجوز أن يظن العبد أن على الله حق فالله تعالى لا حق عليه وإنما يفعل ما يشاء تفضلاً منه .

٢ - ثم لو قدرنا أن للرسول ﷺ حق على الله تعالى، فما العلاقة بين حق الرسول عند الله وبيننا؟ هذا حقا للرسول فما علاقتنا به .

٣ - ثم إن فيه إقساما على الله سبحانه وهذا من الأمور المحرمة .

تنبيه: معنى الحق في حديث معاذ : (حق العباد على الله) :

هو حق الذي هو من باب التكرم لا أنه من باب الجزاء والاستحقاق.

الفصل الثامن : الغلو

م (١) : تعريف الغلو :

مشتق من الفعل غلا ، وهو مجاوزة الحد .

ومن الألفاظ المقاربة له :

التنطع والإطراء والتشدد والتطرف .

م (٢) : أقسام الغلو وآلاته :

١- غلو قلبي: مثل التعظيم والإفراط في الخوف من المخلوق أو محبته.

٢- غلو قولي لفظي : مثل المبالغة في المدح .

٣- غلو عملي : مثل القيام للقاعد ورمي الجمار بحجارة كبيرة.

٤- غلو اعتقادي منهجي: كغلو الخوارج والمرجئة والقدرية والمعطلة .

م (٣) : أنواع المغلو فيهم وصور الغلو وأمثلته :

البشر: ومنهم الرسل والصالحين والملوك والأموات . الملائكة . الجن .

الجمادات من الآثار والمشاهد والبقاع والأمكنة ، ، والأوثان . والأسباب .

القبور بتعظيمها والبناء عليها وإسراجها وتنويرها وكسوتها.

م (٥) : حكم الغلو ودرجاته :

غلو كفري مخرج من الدين كغلو النصارى في عيسى وغلو الرافضة في آل البيت وغلو الصوفية في النبي ﷺ والأولياء وصرف العبادة لهم .

غلو معصية ويدخل في الشرك الأصغر ويعتبر وسيلة للشرك ، كالغلو في المدح والقيام للخلق.

م (٦) : الأدلة على تحريم الغلو:

١- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ النساء: ١٧١ .

٢- قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ نوح: ٢٣:

(هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا،ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت) رواه البخاري.

٣- قال ابن القيم: (قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٣.

٤- عن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) متفق عليه.

٥- عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : (إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) رواه أحمد وغيره.

٦- عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا . رواه مسلم.

وهناك أدلة أخرى في باب الغلو منها :

١- قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ص: ٨٦.

٢- قال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الحج: ٧٨.

٣- قال النبي ﷺ : (عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل حتى تملوا) متفق عليه.

٤- قال النبي ﷺ : (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) رواه البخاري.

٥- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا) رواه البخاري .

٦- عن أنس مرفوعاً : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) متفق عليه .

٧- أنكر النبي ﷺ على من ترك النكاح والفطر والأكل والنوم تنسكا .

كما نهى النبي ﷺ عن الغلو في أحد من الخلق :

٨- فقال ﷺ : (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) رواه مسلم عن المقداد.

٩- لما أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ قال: (ويلك قطعت عنق صاحبك) متفق عليه.

م (٧) : علاقة الغلو بالشرك ونقض التوحيد:

الغلو من أعظم أسباب الوقوع في الشرك وترك التوحيد .

والغلو متعلق بأبواب كثيرة مثل: (الغلو في الصالحين تعضيم المواضع والقبور التصوير والتمائم والتبرك) والجامع فيها تعظيم غير الله .

تنبيه : أعظم أسباب الغلو : الجهل بحقيقة الدين .

م (٨) :التطرف هو أطراف الغلو بين الإثبات والنفي والإفراط والتفريط :

١- فأطراف الغلو في الرسل يكون بين من يكذب بهم أو يسخر من سننهم أو يبغض ما جاءوا به ويحارب دينهم ، وبين من يرفعهم لدرجة الربوبية والإلهية كصرف العبادة لهم أو أنهم يتصرفون في الكون أو أنهم أبناء الله .

٢- الغلو في صفات الله بين المعطلة الجهمية والممثلة بين تكييفها وتمثيلها بصفات الخلق ، وبين إنكارها وجحدها وتعطيلها وتأويلها.

٣- الغلو في القدر إثباتا ونفيا ، بين القدرية والجبرية.

٤- الغلو في الصحابة وآل البيت بين الروافض والنواصب ، وبين من يعبدهم ومن يطعن فيهم ويسبهم.

٥- الغلو في التكفير والأسماء والأحكام والإيمان بين الخوارج والمرجئة، بين التكفير بالمعاصي وبلازم القول والتسلسل وشعوب المسلمين ، وبين ترك تكفير من كفره الله من المشركين والمرتدين أو قصر الكفر بالاعتقاد والاستحلال .

٦- الغلو في الأسباب بين إثبات استقلالها بإيجاد المسبب وتأثيرها والاعتماد عليها ، وبين إنكارها والإعراض عن الأخذ بها.

٧- الغلو في العلماء بين تقليدهم ونسبة العصمة لهم وعدم رد خطئهم ، وبين من يقدح فيهم ولا يقدرهم ويعرف لهم حقهم.

٨- الغلو بين الخوف والرجاء وبين الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله.

٩- الغلو في الولاء والبراء بين من يوالي الكفار وبين من يظلمهم أو يحرم التعامل معهم.

م (٩) : أسباب النهي عن الغلو ومفاسده:

١- لأنه من أسباب الشرك وذرائعه وطرقه وليس هو السبب الوحيد.

٢- الغلو مناقض لوسطية الإسلام وسماحته ويسره .

فائدة: الغلو سبب لترك الدين مع أن مقصود صاحبه التمسك بالدين وحبه:

فالغلو في النبي ﷺ مثلا قد يؤدي إلى عبادته من دون الله فيترك الغالي الإسلام وينقض توحيده ويقع في الشرك .

م (١٠) : تنبيه : من آثار الغلو التقليد والتبعية المطلقة وتقديم أقوال الرجال على النصوص وتعظيم الأشخاص وطاعة المخلوق في معصية الخالق:

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٣.

قال ابن عباس رضي الله عنه : (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال الله ورسوله وتقولون قال أبو بكر وعمر) رواه أحمد .

قال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

م (١١) : مناقضة القبورية لما جاء من الشرع في أبواب الغلو والقبور :

العجيب من علماء المشركين قراءتهم الأحاديث الناهية عن الغلو والبناء على القبور وسبب شرك قوم نوح ومع ذلك اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات،

وزين لهم الشيطان أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام.

م (١٢) : فائدة : أول شرك حدث في الأرض كان سببه شبهة الصالحين والغلو فيهم وفي تعظيم قبورهم، أول من أظهر الشرك وفعله في أمة محمد هم الرافضة لعنهم الله وسبب وقوعهم في الشرك الغلو في الصالحين وتعظيم قبورهم .

م (١٣) : سبب حصول الشرك : الغلو في الصالحين والتصوير: وبيان ذلك :

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ نوح: ٢٣ قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت) رواه البخاري.

وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية : (كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم) .

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

فهذا يدلنا على كيفية حصول الشرك ومراحله .

أولاً : موت خمسة رجال صالحين .

ثانياً : قام الناس بتصويرهم ليتذكروهم ويعبدوا الله إذا رأوهم .

ثالثاً : بعد أن هلك الجيل المصور وجاء الجيل الذين بعده سوّل لهم الشيطان أن آباءهم الذين كانوا قبلهم كانوا يعبدون هذه الصور والتماثيل والنصب فعبدوها فأرسل إليهم نوح عليه السلام يدعوهم ولبث ألف سنة إلا خمسين، فما آمن معه إلا قليل فأهلك الله الكفار بالطوفان وأبقى الله المؤمنين الموحدين .

ثم رجعت عبادتهم في العرب في الجزيرة بعد إبراهيم بعد أن بقوا أزمنة طويلة على التوحيد حتى غير دين إبراهيم والملة الحنيفية عمرو بن لحي الخزاعي وجاء بالأصنام من الشام أو جدة إلى مكة فعبدت وأطاعوه، ورجع الشرك في العرب والجزيرة العربية مرة أخرى.

قال الرسول ﷺ : (رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبته في النار وكان أول من سيب السوائب) رواه البخاري، وعند أحمد " وغيّر دين إبراهيم " وعنده : " إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان " .

روى الفاكهي عن ابن الكلبي قال: كان لعمرو بن لحي رئي من الجن ، فأتاه فقال : ائت جدة تجد بها أصناما معدة ، ثم أوردها تهامة ولا تهب وادع العرب إلى عبادتها تجب ، فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا ، وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل، فاستثارها عمرو وخرج بها لتهامة وحضر الموسم ودعا إلى عبادتها فأجيب.

وبقي الناس على الشرك في الجزيرة العربية حتى بعث الرسول ﷺ .

وهذا يدل على خطورة الشرك وسرعة حصوله وصعوبة ذهابه.

لكل ذلك جاءت النصوص متظافرة في النهي عن كل ذريعة قد تؤدي إلى الشرك وتقدح في التوحيد ، ولو كان سببها خاف لكثير من الناس.

م (١٤) الغلو في الرسول ﷺ وفي الأنبياء والأولياء والصالحين في المتأخرين :

نهى النبي ﷺ عن الغلو فيه وإطرائه ورفعه فوق منزلته والمبالغة في مدحه .

قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) متفق عليه .

عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) رواه أبو داود.

وعن أنس ﷺ ، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال ﷺ: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ) رواه النسائي.

ولما قالت الجواري: وفينا رسول الله يعلم ما في غد. قالﷺ : (لا يعلم ما في غد إلا الله) رواه البخاري وابن ماجة .

وقال ﷺ : (إنه لا يستغاث بي) قاله لما قال بعض الصحابة: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من المنافق الذي كان يؤذيهم. رواه الطبراني وحسن إسناده الهيثمي .

وعند أحمد في مسنده:(إنه لا يقام لي ولكن يقام لله) وضعّف إسناده ابن مفلح.

وقال أنس: لما شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم) ؟ نزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨ متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ قال: (يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) متفق عليه.

هذه النصوص وغيرها تدل على عبودية الرسول ﷺ لله، وأنه بشر ليس له شيء من خصائص الله تعالى ، وأنه لا يجوز الغلو فيه ورفعه إلى درجة الألوهية.

إلا أنه ومع هذا كله فقد وصل الغلو في الرسول ﷺ عند الصوفية إلى الكفر البواح فنقضوا أوامره وخالفوا شرعه. ومن هذا ما قال البوصيري المشرك :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ومن صور غلو المشركين في النبي محمد ﷺ :

١- زعمهم أنه يعلم الغيب .

٢- أنه ﷺ يتصرف في الكون وأن خزائن السموات والأرض بيده .

٣- أنه يجيب من دعاه ويكشف الكرب ويغفر ويرزق ويعافي وينصر .

٤- أنه يستغاث به ويدعى من دون الله .

٥- أنه حي في قبره كحياتنا الدنيا .

٦- أنه خلق من نور .

م(١٥):مثال لغلو المتأخرين ووقوعهم في الشرك الأكبر في الألوهية والربوبية:

بيان بالكفر الذي تضمنته قصيدة البردة الكفرية للبوصيري (يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك) التي يتغنى بها الصوفية في المولد النبوي:

١- زعم هذا المشرك أنه ليس له ملاذ عند حلول الحوادث إلا النبي ﷺ .

٢- أنه ناداه ودعاه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه.

٣- طلب الشفاعة من الرسول ﷺ كما كان يطلبها المشركون من آلهتهم ولم يطلبها من الله الذي لا يملكها غيره ، كما أخبر أنه لن يضيق جاه الرسول الله ﷺ به.

٤- زعم أن له عند الله ورسوله ذمة لكون اسمه محمد .

٥- صرح هذا المشرك بشركه في زعمه أنه إن لم يكن الرسول ﷺ في المعاد آخذاً بيده فسيهلك وهذا ليس مجرد طلبٍ للشفاعة وإنما اعتقد أن الرسول ﷺ ينقذ بنفسه.

٦- اعتقاده أن ما في اللوح المحفوظ من الغيب قد علمه الرسول ﷺ .

٧- زعم أن الدنيا والآخرة ما خلقت إلا بجود الرسول ﷺ .

وغيرها كثير مما صدر من هذا المشرك من إثبات خصائص الربوبية للنبي ﷺ .

م (١٦) : الأبواب المتعلقة بالغلو :

الغلو في المدح والفخر والذم ، والغلو في القوميات والعصبيات الحزبية، التبرك، التطير، الأعياد، الأسباب، الشرك بالمخلوق بدعائه وطاعته والقيام له.

وجه كون الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والكبر من الشرك الأصغر :

لأن فيها تكبرا على الخلق وتعالياً وتعاظماً وعُجْباً وهذا منافٍ للعبودية من الذل لله والتواضع ، كما أن فيه طعن في خلق الله ، كما أن فيها منازعة الله صفته الكبر.

الدعوة للقوميات والعصبيات الحزبية والقبلية والوطنية من وسائل الشرك.

القيام عند الجالس والقيام للملوك نهينا عنه لما فيه من الغلو وتعظيم المخلوق:

لحديث:(من أحب أن يمتثل له الناس وقوفاً ...). رواه أحمد والترمذي .

وقال أنس ﷺ : (لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك) رواه أبو داوود .

م (١٧):المنافقون رموا المتدينين بالغلو والتشدد وسموا الموحدين بالخوارج:

إن تسمية الطائفة المنصورة أهل التوحيد والجهاد أهل السنة بالخوارج سنة إرجائية جهمية متبعة، قد رمي بها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وهاهم اليوم خصوم التوحيد في زماننا يسمون الموحدين بالخوارج التكفيريين الغلاة المتشددين الضالين.

قال ابن القيم في من رماه وابن تيمية ودعاة التوحيد وأهل السنة بالخوارج:

من لي بمثل الخوارج قد كفّروا   بالذنب تأويلاً بلا إحسان

ولهم نصوص قصروا في فهمها   فأتوا من التقصير في العرفان

وخصومنا قد كفرونا بالذي   هو غاية التوحيد والإيمان

قال عبد الرحمن بن حسن: (فصار من هؤلاء المشركين من يكفّر أهل التوحيد بمحض الإخلاص وإنكارهم على أهل الشرك والتنديد فلهذا قالوا أنتم خوارج مبتدعة وكفرتم أمة محمد كما أشار ابن القيم إليهم في زمانه) الدرر ١١/ ٤٤٨.

قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن : (وقد غلط الكثير وظنوا أن من كفّر من تلفظ بالشهادتين فهو من الخوارج..) الدرر ١٢/ ٢٦٣.

الفصل التاسع : الأسباب

م (١) : العقيدة الصحيحة في الأسباب :

١- لا يجعل الشيء سببا إلا بعلم، ، فلا بد من أن تكون الأسباب أسبابا حقيقية شرعا أو قدرا وعادة ، كمن ظن أن النذر سبب لدفع البلاء وليس كذلك ولا يأتي بخير كما في الخبر .

٢- لا يتخذ شيئاً من الأعمال الدينية سببا، إلا أن تكون مشروعة والعبادات مبناها على التوقيف، فلا يدعو غير الله وإن ظن أنه سبب في حصول المقصود أو بعض غرضه ولا يذهب لساحر وكاهن وعراف وإن كان عندهم شيء كما يريده .

٣- اعتقاد أن السبب له تأثير حقيقي لكن لا يستقل بحصول المطلوب بل لابد معه من توفر الشروط وانتفاء الموانع .

٤- عدم الاعتماد عليه بالكلية والتوكل عليها ورجاؤها وخوفها فإن هذا من الشرك، بل يعتمد على الله ويتوكل عليه .

٥- إرجاعها إلى الله فهو الخالق لها الموجد المسبب.

٦- اعتقاد أنها بقضاء الله تعالى وقدره، وقدرته ومشيئته فالله قدرها وهي داخلة في القدر.

٧- يعمل بها ولا يهملها أو يتركها.

م (٢) : الأسباب قسمان :

١- أسباب دينية شرعية . كالاستشفاء بالرقى والقرآن .

٢- أسباب دنيوية عقلية . كالاستشفاء بالعسل والكي .

م (٣) : شروط الأخذ بالسبب والعمل به :

١- أن يكون السبب مأذونا فيه فلا يكون محرما .

٢- أن يكون سببا حقيقياً وليس وهميا .

٣- أن لا يعتمد عليه اعتمادا كليا بحيث لا يلتفت إلى مسببه ومقدره وجاعل التأثير فيه والخالق المدبر له .

م (٤) :حقيقة الشرك في الأسباب :

يكون بالاعتماد عليها والاطمئنان إليها والتوكل عليها والثقة بها ، فيرجوها العبد ويخافها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها . قاله ابن القيم في مدارج السالكين ٣/ ٤٠٠ .

م (٥) : منشأ الخلاف في الأسباب والمسببات:

هل إثبات الأسباب ينافي القدر وكونها من خلق الله كما تزعمه الجبرية، وهل إرجاعها إلى خلق الله فيه تناقض أو ظلم أو إنكار لأفعال العباد كما تزعمه القدرية .

القول الاول : مذهب الجبرية والأشاعرة : المنكرون لحقيقة الأسباب وتأثيرها ويجعلون هذا الإنكار من التوحيد، وإثبات تأثير الأسباب عندهم كفر وشرك. ويقولون:الأسباب مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها وسبب قولهم هذا : أنهم ظنوا أن في إثبات الأسباب قدحاً في صفة الخلق، فلو كانت الأسباب مؤثرة في المسببات لكانت هي الموجِدة بذاتها، ولخرجت عن إيجاد الله وخلقه وإرادته، ولصار هناك موجودات لها خالق غير الله، ومن أجل ذلك أنكروا حقيقة تأثير الأسباب، وسلبوا العبد من الإرادة وأن يكون مؤثراً في أفعاله . فخالفوا بمذهبهم هذا العقل

والشرع، وأنكروا ما خلقه الله من القوى والقدرة المؤثرة في الأفعال فالنار عندهم لا تحرق، بل المحرق هو الله، والإحراق وقع عند وجود النار لا بها .

القول الثاني : مذهب القدرية المعتزلة : الغلاة في إثبات الأسباب :

غلوا في إثبات تأثير الأسباب حتى جعلوها المؤثرة بذاتها من دون الله، والسبب هو المستقل في إيجاد المسبب، وبهذا القول أثبتوا مخلوقات ليست من خلق الله، فأشركوا في توحيد الربوبية فأثبتوا خالقاً غير الله، وبذلك شابهوا المجوس المثبتين خالقين لهذا العالم، ومن فروع مذهبهم أن العبد مسبب لفعله وإرادته ويخلق أفعاله من دون الله والله لا يخلق المعاصي وأفعال عباده حتى لا يكون ظالما لهم.

والمعتزلة بهذا القول شابهوا الفلاسفة الغلاة في إثبات الأسباب، حين قالوا السبب موجد المسبب، والله علة المعلول وسبب المسببات، فانبنى على قولهم إنكار الصفات والقدر وإنكار المعاد والقول بقدم العالم، فكفروا بإجماع المسلمين . ومثلهم القائلين الطبيعة أوجدت نفسها بطريقة الأسباب .

القول الثالث : مذهب أهل السنة :

يثبتون الأسباب وحقيقتها، وأن لها تأثيراً في المسبب ولها وجود وقوة، ولكن كل هذه ليست بذاتها ولكن بما أودعه الله فيها، فالله تعالى خالق السبب والمسبب .

قال ابن القيم: (ليس إسقاط الأسباب من التوحيد ، والقول بإسقاطها هو توحيد الجبرية ... والالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عنها قدح في الشرع ... فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود فهو معرض عن المسبب لها.) بتصرف مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥ .

قاعدة : شرك الأسباب وإسناد الحوادث لغير الله .

باب يدخل فيه معظم صور الشرك الأصغر.

إما بجعل ما ليس بسبب سببا ، أو بالغلو في السبب والاعتماد عليه .

ومن الأبواب المتعلقة بالأسباب :

التمائم ، الرقى ، التبرك ، التطير ، الاستسقاء بالأنواء.

الفصل العاشر: التمـائم

المسألة الأولى: تعريفها:

هي ما يعلقه الشخص على نفسه وما يُعلق على الصبيان والدواب ويوضـع في البيوت ونحو ذلك .

ويقصد من يضع التميمة: أنها ترد العين والمكروهات وكيد الشياطين وأذيتهم أو رفع البلاء بعد حصوله أو دفعه ومنعه قبل نزوله أو لجلب الخير والسعادة.

سميت تمائم: لأن العرب كانوا يعتقدون فيها تمام الدواء والشفاء .

م (٢): أقسام المعلقات:

١- رقى وتعاويذ وآيات من القرآن، وتسمى غالبا: الحجب والتحصين.

٢- الخيوط والخرز والقلائد والشعر والريش والجلود والوتر والسن والحبة السوداء وقرن الدابة والنحاس. ومن هذا النوع:

الدبلة: مقصود لابسها تحبيب الزوجين لبعض وهذا شرك وتشبه بالكفار.

الحلقة من صفر: سوارة من نحاس تلبس على اليد، ومثلها سوارة الروماتيزم.

م (٣): مواضع تعليقها:

تعلق في الجسد على الرقبة أو اليد أو الوسط أوتوضع في الحزام ودكة السراويل والأكمام. كما تعلق على رقاب الدواب، وفي السيارات والبيوت .

م (٤): أسماؤها:

التميمة والعزيمة والتولة والودعة والحرز والحجب والجامع .

التولة: شيء يصنعونه قيل من السحر يزعمون أنه يحبب المرأة لزوجها.

م (٥) : أدلة تحريم تعليق التمائم ولبس الحلقة والخيط :

١- قال الرسول ﷺ : (من تعلق تميمة فقد أشرك) رواه أحمد . والحديث ورد في رجل أمسك النبي ﷺ عن مبايعته لأن عليه تميمة فلم يبايعه إلا بعد أن قطعها.

٢- قال: الرسول ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود.

٣- عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ مرفوعاً: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) رواه أحمد.

معنى فلا أتم الله له ولا ودع الله له :

هذا دعاء عليه بأن لا تتم أموره وأن لا يكون في دعة وسكون ولا خفف الله عنه ما يخافه . كما أنه يحتمل الإخبار بأن أموره لن تتم ولن يزول خوفه .

٤- عن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: (ما هذه)؟ قال: من الواهنة فقال ﷺ : (أما إنها لا تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) وفي رواية :(وكلت إليها) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

ومعنى لا تزيدك إلا وهنا :

إما أن يكون لها تأثير في الوهن حقيقة، وهذا من باب العقوبة كما أن بعض الأمراض عقوبة لبعض المعاصي .

أو أن يكون المعنى بالوهن الكفر والشرك والضلال والبعد عن الله، فالمعنى لا تزيد التمائم صاحبها إلا شركا ،وهذا مثل فزادوهم رهقا .

أو أن معناه : زيادة الشكوك والأوهام والقلق والخوف وضعف القلب.

٥- عن أبي بشير ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. متفق عليه .

٦- عن عبد الله بن عكيم مرفوعا:(من تعلق شيئا وُكل إليه) أحمد والترمذي.

٧- عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ : (يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه). رواه أبو داود والنسائي أحمد.

٨- عن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ ، رواه ابن أبي حاتم .

وقال سعيد بن جبير: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة) رواه وكيع.

٩- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ الزمر: ٣٨.

وهذا دليل على أن التمائم لا تدفع ضراً ولا تكشفه بعد نزوله ولا تجلب نفعاً.

واستدل العلماء بالآية على إبطال التمائم ، والسلف كانوا يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الأصغر كما فعل حذيفة ﷺ في الدليل السابق .

م (٦) : حقيقة وأنواع تعليق التمائم ونزعها :

يكون التعليق بالجوارح، وذلك في ذات التعليق .

وتكون بالقلب، وذلك باعتقاد نفعها فيتعلق الشخص بها.

كما أن نزعها ونبذها وقطعها يكون : باليد وباللسان بإنكارها ، وبالقلب وذلك بأن ينزعها وينبذها من قلبه ويقطع عقيدته فيها .

م (٧) : وجه دخول التمائم في الشرك وعلة تحريمها :

١- أن فيها تعلقاً بغير الله تعالى، وقيامها على الاعتماد على المخلوق.

٢- منافاتها التوكل على الله. ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر: ٣٨.

٣- أن فيها نسبة التأثير لمخلوقات وجمادات لا أثر لها .

٤- جعل ما ليس بسبب سببا.

٥- فيها اعتقاد النفع ودفع الضر في غير الله .

م (٨) : متى تكون التمائم شركاً أكبر : تكون شركاً أكبر في حالتين :

الأولى : إن كان في التميمة شرك أكبر كدعاء غير الله أو كانت صليبا .

الثانية : إن اعتقد أنها تؤثر بذاتها وتستقل بالنفع ودفع البلاء من دون الله، فهذا شرك أكبر وهو متعلق بالربوبية .

أما إن اعتقد أنها سبب للسلامة من العين والجن فهذا من الشرك الأصغر شرك الأسباب .

م (٩) : التمائم والرقى على قسمين :

١- منها ما هو شرك أصغر : وهو الأكثر ، إذا علقها ، واعتقد أن النفع والضر بيد الله عز وجل ، وأن هذه مجرد أسباب نافعة وهذا شرك أصغر .

٢- منها ما هو شرك أكبر : إذا جعل هذه التمائم والرقى تؤثر بذاتها ، وأنها هي المؤثرة بذاتها، فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل .

ومثلها مثل التطير والتشاؤم .

م (١٠) : نوعية الشرك في التمائم :

١- الشرك في لبس التمائم متعلق بالقلب والجوارح .

فالقلب من حيث الاعتقاد، والجوارح من حيث اللبس .

٢- متعلق بالشرك في الألوهية والربوبية وسيأتي.

م (١١) : حكم تعليق التمائم من القرآن :

إذا كانت التمائم المعلقة من القرآن، فرخص فيها بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيها، ويجعلها من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﷺ.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن رواه وكيع وابن أبي شيبة.

ومما يدل على تحريم تعليق التمائم من القران :

١- عموم النهي الوارد في التمائم .

٢- أن نفع القرآن في تلاوته والعمل به، لا في تعليقه على الحيطان والرقاب.

٣- أن تعليق شيء من القرآن والمصحف لو كان مشروعا لبينه الرسول ﷺ لأمته ولفعله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، كيف وقد نهوا عنه .

٤- أن في تعليق هذا النوع ذريعة لتعليق غيره من التمائم الشركية .

٥- أن تعليق القرآن يفضي إلى امتهانه .

٦- أن في التعليق إعراضاً عن العمل المشروع من قراءة المعوذات ونحوها.

تنبيه : تعليق أكثر الناس لآيات من القرآن إما أن يكون للزينة أو طلبا للبركة وكلاهما محرم وامتهان لكتاب الله.

م (١٢) : علاقة التمائم بالأسباب :

التمائم ليست من الأسباب المشروعة، ولا فائدة فيها أصلا من حيث العقل والعادة، فإثباتها من باب الشرك في الأسباب فضلا عن الشرك فيها المتعلق بالربوبية.

ثم لو فرضنا وجود نفع فيها فإنها غير شرعية مثل الفائدة التي في الخمر .

م (١٣) : القلائد على الدواب والميداليات والمسابح في السيارات:

إن كانت لرد العين كان تعليقها من الشرك .

وإن كانت للعلامة أو الزينة ونحوها فليس هذا من الشرك، إلا أن الأولى تركها سدا للذريعة ومنعا للتشبه.

م (١٤) : وضع القلائد والتمائم لصرف العين إليها وللفت الانتباه :

البعض يضع قلادة جميلة على الدابة لتلهي الناظر عن الدابة ولكي ينشغل بها عن الدابة وتنصرف العين لها لكي تسلم له دابته، كذلك البعض يعلق قلائد أو ريش نعام على السيارات الكبار حتى تنصرف عين الناظر إلى الريش لا إلى السيارة، والمعلق لا يقصد دفع العين وإنما ليصرف الانتباه إليها ولا يعتقد أنها تدفع الضر، وهذا مثل من يحلق رأس الصبي ولا يجمله بل ويتعمد إبقاء القذر عليه تحاشيا عليه من العين .

ومن كانت هذه نيته ففعله ليس بشرك ولكن فيه طعن في التوكل وابتداع في العمل وينبغي له ترك ذلك سدا لذريعة التمائم ومنعا من باب التشبه بالمشركين .

م (١٥) : عقد اللحية وتقليدها لأربعة مقاصد :

الكبر ، التشبه بالكفار رد العين العبث وكلها محرمة لورود النهي في ذلك.

م (١٦) : شبهات في الباب:

١- حديث : (احرثوا فإن الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجماجم) :

رواه أبوداود في المراسيل . والجواب عنه :

١- أن الحديث ضعيف لايحتج به ولم يرو للاحتجاج وإنما لبيان العلة.

٢- التمائم لايمكن أن يأمر بها الشرع لأنها مصادمة للتوحيد بل إنه نهى عنها.

٣- أن معنى الجماجم البذر، وقيل خشبة الحرث كالتماثيل يضعها المزارعون لدفع الطير، وليست لدفع العين.

٢- قوله عثمان في الصبي (دسموا نونته).

ليس ما فعله من التعليق المحرم ، لأن حقيقته إزالة ما في الصبي من جمال الذي تقع العين عليه.

م (١٧): القاعدة : في باب التمائم والتبرك والرقى والتشاؤم :

أولاً : هذه الأفعال من قبيل شرك الأسباب .

ثانياً : دخول هذه الأفعال في شركي الألوهية والربوبية :

١- وجه كونها شركا في الألوهية : أنها منافية للتوكل وفيها تعلق بغير الله ولجوء وقصد وتوجه وإرادة للمخلوق وتوكل عليه.

٢- وجه دخولها في شرك الربوبية :

أن فيها اعتقاد التأثير وأنها تنفع وتضر ولها تصرف وتدبير في الكون .

ثالثاً : هذه الأفعال تكون من الشرك الأكبر ومن الشرك الأصغر .

رابعاً : هذه الأفعال تكون بالقلب واللسان والجوارح .

الفصل الحادي عشر: الرقى الشركية

المسألة الأولى: تعريف الرقية :

الرقية هي العوذة ، والعوذ هو الالتجاء والاعتصام والتحصين .

وسميت بذلك لأنه يعتصم بها . كما تسمى عزائم .

وهي الدعاء بطلب الشفاء، أو الذكر الذي يحصن صاحبه ويقيه مما يهمه .

قال ابن تيمية : الرقى بمعنى التعويذ، والاسترقاء طلب الرقية، وهي من أنواع الدعاء.

م (٢) : وجود الرقية قبل الإسلام :

كانت الرقية معروفة قبل الإسلام يدل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ القيامة: ٢٧، كذلك قصة ضماد بن ثعلبة الأزدي ﷺ في صحيح مسلم ، وكان راقيا، وأراد أن يرقي الرسول ﷺ لما سمع سفهاء مكة يقولون إنه مجنون.

قال ﷺ :(اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك) مسلم.

م (٣) : الرقية من أبواب الرخص وليست عزيمة :

الأصل ترك الرقية لأن لها علاقة بالشرك إلا أن الرسول ﷺ رخص للناس فيها بشروط يدل لهذا قول أنس ﷺ : (رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحُمَة والنملة) رواه مسلم. والحمة السم، والنملة قروح تخرج بالجنب .

وعن جابر ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى الرسول ﷺ فقالوا يارسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى . قال فعرضوها عليه .

فقال:(ما أرى بها بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه). رواه مسلم.

قال القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم : (دلت الأحاديث على أن الأصل في الرقى كان ممنوعا كما هو واضح من قوله نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، والنهي عن الرقى كان مطلقا لأنهم كانوا يرقون في الجاهلية برقى هي شرك وبما لا يفهم ويعتقدون أنها تؤثر بذاتها ثم إنهم لما أسلموا وزال ذلك عنهم نهاهم النبيﷺ عن ذلك عموما ليكون أبلغ في المنع وأسد للذريعة، ثم إنهم لما سألوه وأخبروه أنهم ينتفعون بذلك رخص لهم في بعض ذلك وقال : اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك).

م (٤) : دخول الرقية في الشرك وعلاقتها بأبواب التوحيد:

يدل لذلك قوله ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود.

م (٥) : أوجه دخول الرقية في الشرك :

١- لما في الرقى من التعلق بغير الله والاعتماد والتوكل عليه.

٢- فيها اعتقاد النفع والضر والتأثير بذاتها .

٣- ربما كان فيها استعاذة بالمخلوق من جن وغيرهم .

٤- ربما كان فيها ادّعاء علم الغيب .

م (٦) : أقسام الرقية :

١- رقية مشروعة جائزة .

٢- رقية ممنوعة : ولها أنواع:

منها المحرمة والبدعية، ومنها الشركية الكفرية .

م (٧) : شروط جواز الرقى :

١- أن تكون باللغة العربية ومن الكتاب أو السنة.

٢- أن تخلو من الشرك والذهاب للسحرة والكهان .

٣- أن لا يعتقد أنها تؤثر بذاتها وأنها تستقل بالنفع والضر أو أن النفع من الراقي .

م (٨) : الرقى توقيفية :

فلا يستحدث شيء فيها بل يرقى بما ورد في الكتاب والسنة.

تنبيه: الحديث الوارد عند الطبراني في رقية الحمة وهي: شجة قرينة ملحة بحر قفطا ، وقوله ﷺ فيها:(لا بأس بها هي مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام) وفي رواية مواثيق الجن . فهو ضعيف ولا يصح الاحتجاج به.

من الرقى البدعية : ما يسميه بعض العامة رقية ذات السموم والحية، وهو مشتمل على استغاثات شركية .

م (٩) : طرق الرقية الواردة في السنة:

١- النفث مع القراءة وقبلها وبعدها، وتصح الرقية بلا نفث والنفث أفضل.

٢- خلط الريق مع التراب، فينفث في الأصبع ثم يوضع بالتراب ويمسح به المريض.

٣- وضع اليد على موضع الوجع أو يمسح بعد القراءة مع النفث .

٤- أن يقرأ في الماء أو الزيت أو ماء فيه سدر وينفث فيه فيشربه المريض ويتمسح به ويغتسل به .

٥- اغتسال المعيون من غسل العائن . وقول : . وقول : بارك الله ، أو ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

٦- كتابة آيات في ورق ووضعها في الماء وشربها، وثبت ذلك عن ابن عباس، رواه عنه ابن أبي شيبة . وأجازه الإمام أحمد وابن تيمية .

م (١٠) : ما تستعمل له الرقية :

الأمراض العضوية الحسية واللدغ والعين والسحر والصرع والمس .

وتكون قبل الداء تحصنا منه أو وقاية من العين، وتكون بعده.

وأما ما ورد من تخصيصها بالعين كحديث : (لا رقية إلا من عين أوحُـمَة)، رواه البخاري ، فإن معناه: لا رقية أولى وأنفع .

م (١١) : أجاز البعض رقية أهل الكتاب أما الكهان فلا تجوز رقيتهم مطلقا .

م (١٢) : ترك الاسترقاء من كمال التوحيد :

يدل لذلك حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب وفي وصفهم أنهم لا يسترقون أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم توكلا على الله، أما الرقية فليست كذلك .

وهناك فرق بين الرقية وبين الاسترقاء الذي هو طلبها والتعلق بالراقي.

م (١٣) : حكم التداوي :

الأصل فيه الإباحة، ويدل لذلك قوله ﷺ : (يا عباد الله تداووا ولا تتداووا بحرام) رواه أحمد.

إلا أن ترك طلب الدواء والسعي في التداوي أكمل .

يدل لذلك قوله ﷺ في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب : (ولا يسترقون) والتداوي يقاس على الاسترقاء .

كذلك قصة المرأة التي كانت تصرع وتتكشف على عهد رسول الله ﷺ فاشتكت له ﷺ وطلبت أن يدعو لها بالشفاء، فقال لها :(إن شئت دعوت لك وإن شئتِ صبرتِ ولك الجنة) ، فقالت أصبر رواه البخاري.

فائدة : لا يدخل في ترك التداوي : الجراحات وانتقاش الشوك وتجبير الكسور وما في نحوه .

والضابط فيما يترك فيه التداوي : هو في الأمراض الباطنة التي تخفى علتها وعلاجها ، وذلك لاحتمال وجود التعلق بالسبب فيها .

م (١٤) : أدلة دخول الجني في بدن الإنسان وتلبسه به وصرعه له :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

وجاءت امرأة للنبي ﷺ ومعها صبي به لمم ، فقال النبي ﷺ : (اخرج عدو الله أنا رسول الله) فبرىء الصبي . رواه أحمد .

م (١٥) : علاقة الرقى بالتمائم :

كل منهما يقصد منه رد الشر من عين وغيرها. الرقية قد تعلق فتصير تميمة .

م (١٦) : وصية: مما يجدر الاعتناء به لمن سلك طريق الرقية احتساب الأجر في نفع الناس وتعليقهم بالله تعالى . وأن يتعلم الراقي ما يتعلق بأحكام الرقية وآدابها وطرقها ووسائل السحر والحسد والعين والتشاؤم والأمراض النفسية والعضوية .

وأن لا ينقطع للرقية إذ ليس ذلك من هدي السلف .

الفصل الثاني عشر: التبرّك

المسألة الأولى: تعريفه:

أصله من الفعل برك الدال على الثبوت والبقاء، ومنه بروك الجمال وبركة الماء، كما يدل على النماء والزيادة والعلو، وعلى السعادة وعلى اليمن ضد الشؤم.

وتبارك الله: تقدس وتعالى وتعاظم وكثر خيره.

وهذه اللفظة لا تطلق إلا لله تعالى.

والتبريك الدعاء بالبركة. والتبرك طلب البركة.

وللتبرك أصل في الشرع ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦ ﴿ مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ المؤمنون: ٢٩ ﴿ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ ق: ٩ ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا ﴾ مريم: ٣١ ﴿ بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦ ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ الإسراء: ١ .ومنه (اللهم بارك على محمد وآل محمد).

م (٢): عقيدة أهل السنة في التبرك:

نعتقد أن البركة من الله تعالى، وقد جعلها سبحانه في بعض مخلوقاته، فلا تطلب البركة إلا منه أو مما جعله الله سببا لنيل البركة، ولا نثبت البركة في شيء إلا بدليل من الشرع.

م (٣): أقسام التبرك: تبرك مشروع. تبرك ممنوع.

م (٤): مقاصد التبرك:

الأولى: أن يقصد نفع نفسه وحصول البركة فيه.

الثانية: أن يقصد التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

م (٥) : أنواع وصور الأمور المباركة :

١- القرآن كلام الله تعالى جعله الله مباركا : وتبركنا به يكون عن طريق قراءته والعمل به والرقية والاستشفاء به، أما تقبيله والتمسح به فبدعة .

٢- الرسل وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ :

وكيفية تبركنا به يكون بمحبته والإيمان به وإتباعه وطاعته وطلب الدعاء منه وقت حياته لا بعد موته فذلك شرك أكبر والعياذ بالله .

كما أنه يتبرك بجسده وريقه وشعره وعرقه في حياته وبعد موته حين كانت آثاره باقية قبل فنائها وفقدانها .

تنبيه: من ادّعى بقاء شيء من آثار النبي ﷺ في زمننا، فهو كاذب ويجب تعزيره.

٣- الصالحون : بمحبتهم وموالاتهم ودعائهم للناس وانتفاع الناس بعلمهم وانتفاع آبائهم بهم بعد موتهم .أما التبرك بآثارهم وأجسادهم فأمر مبتدع ولا يجوز .

٤- الكعبة : جعلها الله مباركة فتحصل البركة باتخاذها قبلة للصلاة والدعاء عندها والطواف بها لله وتعظيمها وتنظيفها وتقبيل الحجر الأسود واستلام ركنها اليماني طاعة لله وليس لا أن اليد تنال البركة بهذه المماسة .

وليس من التبرك بها التمسح بحيطانها وتقبيلها كما يفعله بعض الجهلة والمبتدعة أو اعتقاد أن الصلاة والطواف يكون لها وأنها تنفع بمجرد تقبيلها ولمسها .

تنبيه : قال عمر ﷺ : (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) متفق عليه ، فالحجر الأسود تقبيله عبادة لا أن في ذاته بركة والبركة في العبادة المتعلقة بمسحه لا بالمسح نفسه .

٥- المساجد الثلاثة وغيرها : من مواطن البركة وفيها تنزل البركات، وذلك بسبب الصلاة وذكر الله فيها والاعتكاف بها واجتماع المسلمين بها والسعي في بنائها وعمارتها. وليس معنى التبرك بها التمسح بها وتقبيلها وأخذ ترابها وفرشها طلبا للبركة فإن هذا من صنيع الجهال بالدين والمبتدعة الضالين .

٦- بعض الأمكنة كعرفة ومنى والحرم والمدينة، جعل الله هذه البقاع مباركة فيستحب الدعاء فيها، ومن البركة فيها تأمين ساكنها والبركة في ثمارها وصاع المدينة ومطعومها وتمرها ، وليست البركة في التمسح بهذه المواضع أو أخذ شيء من ترابها .

كذلك دعاؤه ﷺ بالبركة للمسلمين في الشام واليمن .

٧- شهر رمضان : جعله الله مباركا وذلك لما فيه من الصيام والقيام وتكاثر العبادات ومضاعفة الحسنات .

٨- بعض الأزمان جعل الله فيه بركة : من ذلك ليلة القدر وعشر ذي الحجة ووقت السحر والفجر للعبادة والبكور في الأعمال كما روى صخر بن وداعة الغامدي ﷺ قال: قال النبي ﷺ : (بورك لأمتي في بكورها) رواه الترمذي .

٩- التبرك بماء زمزم بشربه والتشافي به .

١٠- التبرك بماء المطر في الشرب منه والسقي منه .

١١- التبرك بوجبة السحور للصائم .

١٢- البركة ببعض الأطعمة كالعسل واللبن والتمر والزيتون .

١٣- البركة في الغنم والخيل .

١٤- التبارك بذكر الله وعبادته وطاعته .

م (٦) : التبرك الممنوع :

١- التبرك بالآثار النبوية، فلا يشرع التبرك بقبر الرسول ﷺ ولا التمسح بترابه لو أمكن ذلك ولا بموضع مولده إن صح تعيينه ولا بغار حراء ولا بالقبور ولا بالأماكن التي مر ﷺ بها أو صلى فيها غير ما دلت السنة عليه كمسجد قباء.

٢- التبرك بآثار الصالحين .

٣- التبرك بالقبور .

٤- التمسح بجدران الكعبة وفرش المسجد الحرام وتراب الحرم .

٥- التبرك بشجر أو حجر ونحوها .

م (٧) : أقسام الأشياء المباركة :

منها المباركة حسيا ومنها المباركة معنويا .

منها المباركة دنيويا ومنها المباركة دينيا وأخرويا .

م (٨) : وجود بركة في الشيء لا يقتضي التبرك به وطلب البركة منه .

التبرك بما فيه بركة منضبط بالشرع وفعل السلف في القرون المفضلة، لا بما يزعمه الجهلة ويفعله أهل التصوف والخرافة من فتح باب البدعة على مصراعيه، فطالما تمرغوا بالمخلفات وعفروا أنوفهم بالأتربة وتقلبوا على الأضرحة كل ذلك طلبا منهم للبركة.

م (٩) : علاقة التبرك بالشرك وأيهما الأصل المؤثر في إيجاد صاحبه :

التبرك قد يكون سببه وجود الشرك أصلا .والعكس فقد يكون الشرك إنما حصل من المشرك قاصدا نيل البركة ، فيكون وجود الشرك سببه طلب التبرك .

م (١٠) : علاقة التبرك الممنوع بالشرك ووجه مخالفته للتوحيد :

١- فيه تعلق بغير الله ﷻ واعتماد عليه وتوكل عليه . وهذا شرك في الألوهية.

٢- أن فيه اعتقاد النفع والضر بالمخلوق . وهذا شرك في الربوبية .

٣- نسبة السببية لما ليس بسبب .

م (١١) : حالات كون التبرك شركا أكبر :

الحالة الأولى : إن اعتقد أن في المخلوق البركة استقلالا وأن النفع وكشف الضر يحصل من المتبارك به من دون الله.

الثانية: إن طلب البركة بطريق شركي كدعاء الأموات والطواف بالقبور .

م (١٢) : أسباب التبرك الممنوع :

١- الجهل بالدين، والتقليد. كما في حديث : (ونحن حدثاء عهد بكفر) .

٢- الغلو في الصالحين وقد قال الرسول ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) متفق عليه.

٣- تعظيم الآثار ورعايتها . كما عظمت ذات أنواط .

٤- التشبه بالكفار . كما قالوا: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ الأعراف: ١٣٨ .

م (١٣) : آثار التبرك الممنوع :

١- أنه من أعظم الوسائل المؤدية للشرك والطرق المفضية إليه .

٢- الوقوع في الشرك وعبادة غير الله تعالى .

٣- إضاعة السنن والإعراض عنها ومزاحمة سنة الرسول ﷺ .

٤- فعل المنكرات واقتراف المعاصي في كل مكان يحصل التبرك عنده .

م (١٤) : أدلة التبرك الممنوع :

قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ النجم: ١٩. يستدل بعض العلماء بالآيات على التبرك لأن اللات وغيرها ما عبدت إلا طلبا للبركة وقد أكذب الله ظنهم ورد زعمهم ، وأن هذا سببه الجهل والظن الكاذب والهوى .

فائدة : حقيقة اللات : قيل سميت اللاتّ بالتشديد من لت السويق، وكان رجلاً صالحاً يطعم الناس وقيل من الإله كما أن العزى من العزيز. قال ابن عباس: اللات كان رجلا يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره. رواه البخاري .

ذكر الفاكهي عن ابن عباس: أن اللات لما مات قال عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنو عليها بيتا وصنما ، وعبدت الصخرة التي على قبره وعظمت تبعا لا قصدا فالعبادة أرادوا بها صاحب القبر الصالح، والصنم رمزه. فتأمل فعلهم وقارنه مع فعل مشركي زماننا من بناء القباب على قبور الصالحين.

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨ (لتركبن سنن من كان قبلكم). رواه الترمذي .

ومعنى اجعل لنا ذات أنواط : أي شجرة ننوط ونعلق عليها أسلحتنا، لتتبارك الأسلحة، ونعكف حولها، وظنوا أن هذا أمر محبوب لله فقصدوا التقرب إليه بذلك .

م (١٥) : أقوال أهل العلم في التبرك :

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح كتاب التوحيد: فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيلها وتقبيل اعتابها وجدرانها والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها ؟

قال الإمام الطرطوشي المالكي في كتاب البدع: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها .

قال أبو شامة الشافعي في البدع والحوادث : ومما عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكي أنه رأى مناما بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية ويحافظون على ذلك مع تضييعهم الفرائض .

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان : (فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون هذا الحجر وهذه الشجرة تقبل النذر أي تقبل العبادة من دون الله فإن النذر عبادة) .

م (١٦) : شبهة التبرك بآثار الصالحين :

استحب بعض المتأخرين التبرك بآثار الصالحين كالريق والعرق والشعر وسؤرهم ولباسهم ونحو ذلك، ويقيسون الصالحين بالنبي ﷺ في مشروعية التبرك بآثاره، وهذا باطل ونرد عليهم بما يلي :

١- أنه لا توجد مساواة ولا تماثل بين النبي ﷺ وغيره في الفضل والبركة، بل لا توجد أصلا حتى المقاربة في ذلك .

٢- أن معرفة الصلاح أمر لا يمكن القطع به لأن الصلاح لا يتحقق إلا بصلاح القلب وهذا أمر لا نطلع عليه وإن كان لنا الظاهر والظن الحسن.

٣- أن الصالح لا تؤمن له الخاتمة السيئة فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره .

٤- أن فعل التبرك بغير النبي ﷺ لايؤمن أن يفتن ويعجب بنفسه .

٥- أن التبرك بغير النبي ﷺ لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين فهل تبركوا بالصديق وعمر وعثمان وعلي وغيرهم وهل وقع في القرون المفضلة من تبرك بأئمة التابعين كابن المسيب والحسن البصري وغيرهم ، وهذا الجواب هو العمدة في الباب.

فائدة : التبرك ضد التشاؤم.

تنبيه : التبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر والخير من الله، ولوجود التعلق فيه والرجاء ، وهذه من العبادة ، ولذلك النبي ﷺ جعل فعلهم من العبادة واتخاذ الشجرة المتبارك بها إلها وكانوا كبني إسرائيل لما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ ، وأن كان طلبهم للتبرك من الشرك الأصغر .

الفصل الثالث عشر : التطير والتشاؤم

م (١) : تعريفه :

الشُؤْم بضم الشين وسكون الواو، ويصح في الواو الهمز والتسهيل بدون همزة فتصير الشوْم . والمشأمة الميسرة، والشام بلاد الشمال في مقابل اليمن وجهة الجنوب .

والشوم: هو الشر ضد اليُمن والبركة والخير .

التشاؤم: توقع حصول ما يكره ويخاف عاقبته، عند رؤية أو سماع أمر معين .

أو هو التشاؤم بالمكروه (وما يكرهه الإنسان) من مسموع أو مرئي أو معلوم أو زمان أو مكان .

التَطّيْر : هو التشاؤم بالطير . وحقيقته محاولة معرفة الخير أو الشر المتوقع حصوله في المستقبل بدلالة الطير. وأصل التسمية: مأخوذة من الطير،لأن مشركي الجاهلية كانوا يستعملون الطيور في هذا الباب.

م (٢) : كيفيته: أن المشركين إذا أرادوا فعل أمر كالسفر والحرب والزواج أو غير ذلك، يقومون بتنفير الطير وزجره ليطير، فإذا طار جهة اليمين فرحوا وتفاءلوا وأقدموا على الفعل الذي كانوا يريدونه ، وإذا طار الطير جهة اليسار تشاءموا وأحجموا عن العمل وردهم ذلك عما يريدون .وقد يكون التطير من غير زجر للطير وإنما ترقب له فإذا جاء الطائر من جهة يمين الشخص متجها لليسار تشاءم وسموا الطائر البارح، وإذا طار جهة يمين الإنسان وكانت يمين الطائر جهتنا تفاءل وسموه السانح، والذي يأتي من الخلف للأمام يسمونه القعيد والذي يأتي من الأمام يسمى النطيح، وسمي السانح لأن الفرصة سانحة لصيده أو الأمر سانح في فعله.

م (٣) : الفرق بين الطيرة والتطير :

التطير هو الظن السيئ الذي في القلب .

والطيرة هي الفعل المترتب على الظن السيئ . قاله العز بن عبدالسلام .

م (٤) : أسماء التشاؤم : التطير العيافة الزجر.

والعيافة : من التعيف وهو الكره ومنه عاف الطعام.

هي زجر الطير فتأتي بمعنى التطير.

وتطلق على الحدس والظن والتوقع . والاستدلال على حصول الحوادث بما يشابهها من حوادث مضت والربط فيها بالمناسبة اللطيفة والخفية .

وتطلق على معرفة الأثر والنسب .مثل القيافة .

م (٥) : هي من علوم العرب المشهورة :

وقد عرفت بالعيافة قبيلة أسد ولِـهْب الأزدية . وقد قيل فيهم :

تيممت لِـهْبا أبتغي العلم عندهم   وقد رد علم العائفين إلى لهب

فما أعيف اللِهْبي لا رد دره   وأزجره للطير لا عز نصره

فائدة : وجود التطير في الأمم السابقة : في ثمود وفي قوم فرعون وغيرهم .

م (٦) : الفرق بين الفراسة والتطير :

الفراسة أمر يقذفه الله في قلب عبده يبصر به ويتوقعه فيكون حقا أو الاستدلال ببعض المقدمات والقياس عليها من باب الاستنباط والحدس .

أما التطير فهو اعتقاد في القلب متعلق بأمور ليست لها صلة به ومن ثم نسبة ذلك الحادث من خير وشر إليه .

م (٧) : أدلتها :

١- قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ ﴾ يس: ١٨-١٩.

٢- قال: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴾ النمل: ٤٧.

٣- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الأعراف: ١٣١.

٤- قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ النساء: ٧٨ .

٥- عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) أخرجاه. زاد مسلم: (ولا نوء، ولا غول).

٦- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل) قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة) متفق عليه.

٧- عن عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك) رواه أبو داود.

٨- وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) ، رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود. وفي رواية :(من الشرك).

٩- عن عبد الله بن عمرو بن العاص: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) رواه أحمد .

١٠- عن أم كرز قالت سمعت النبي ﷺ يقول: (أقروا الطير على مكناتها). رواه أبو داود . أي: لا تزجروها واتركوها في محلها، فإنها لا تضر ولا تنفع .

١١- عن أنس ﷺ مرفوعا :(لا طيرة والطيرة على من تطير) رواه ابن حبان.

١٢- وعن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال يارسول الله تطيرت، قالﷺ: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) رواه أحمد.

١٣- عن معاوية بن الحكم السلمي حين سأل الرسول ﷺ عن رجال يتطيرون فقال له : (ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم) رواه مسلم .

١٤- قال ﷺ : (العيافة والطيرة والطرق من الجبت) رواه أحمد وأبو داود .

١٥- حديث فضالة:(من ردته طيرته عن شيء فقد قارف الإشراك) السنة.

١٦- وجاء في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب : (ولا يتطيرون) متفق عليه.

١٧- عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعا : (ليس منا من تطير أو تطير له) رواه الطبراني والبزار .

١٨- قال عكرمة : كنا جلوسا عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح فقال رجل خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر .

١٩- قال طاووس لرجل قال مثل ذلك: وأي خير عند هذا .

م (٨) : ما يكون عليه التشاؤم :

١- التشاؤم ببعض الناس فيقولون فلان رجل شؤم .

٢- الحيوانات كالغراب والبومة والقرد والحرباء، ويسميها العوام مكروهة.

٣- النباتات .

٤- العلل والأمراض، كالتشاؤم من الرجل الأعور وذميم الخلقة.

٥- البلدان والبقاع والأراضي فيقال هذا مكان شر ومصائب .

٦- الأيام والشهور ، كالأربعاء وشوال وصفر.

٧- الحركات والهيئات والتصرفات والحوادث والكلمات والأخبار .

م (٩) : طرق التطير في الجاهلية :

١- زجر الطير .

٢- قراءة الكف .

٣- التشاؤم بالأبراج والنجم ونسبة النحس والسعد إليها أو اعتقاده فيها.

م (١٠) : ضابط الطيرة والتشاؤم المحرم الشركي :

ما ترتب عليها عمل وأثر كأن ترد صاحبها أو تمضيه، وأن يعمل المتشائم بمقتضى ما توهمه ، وقد جاء الحديث بضابط الطيرة وهي: ما أمضاك أو ردك .

ويصير العامل بالطيرة بين الشرك الأكبر والأصغر وشرك الألوهية والربوبية.

أما ما يحصل من تطير وتشاؤم وكره في القلب من غير أن يترتب عليه عمل واعتقاد نفع وضر وتأثير، فهذا لا يدخل في الطيرة الشركية وإن كان تركه أولى .

تنبيه : ليس الكره الحسي ككره السفر أو كره بلد معين من التشاؤم.

م (١١) : **خطورة الطيرة** :في الطيرة خطورة على المتطير من جهتين :

الأولى: من جهة الدين : التطير يخلخل العقيدة ويفسد التوكل والعبادة.

الثانية: من جهة الدنيا: التطير يضعف القلب ويوهن العزيمة ويثنيها، ويجعل صاحبها يعيش الهموم والشكوك والوهم والقلق، حتى يحسب كل صيحة عليه .

فائدة : الطيرة تتضاعف ويستفحل أمرها ويستشري شرها إذا أذعن لها الشخص وأصغى للوساوس واسترسل فيها .

م (١٢) : **الطيرة قد تكون فطرية من غير تعمد ولا قصد** :

إلا أن المؤمن الموحد لا يلتفت إليها ، بل يعتمد على ربه، ويقاوم الطيرة بالتوكل على الله حتى تذهب،كما في حديث ابن مسعود .

م (١٣) : **حالات الناس مع الطيرة** :

الأول: من لا يلتفت إليها ولا يتشاءم أصلا ولا يقوم في قلبه أدنى أثر لما يتطير الناس به ويتشاءمون منه وما ذاك إلا لكمال يقينه بالله وبقدره وعظم توكله على ربه .

الثاني: من قد يحصل في قلبه شيء من التشاؤم والطيرة، إلا أنه لا يلتفت لما يخطر في قلبه ولا يؤثر في فعله وعمله، ويجاهد الوساوس والشكوك والتوهمات بالإيمان والتوكل ، وهذا لا يضره ما حصل له ولا يؤاخذ به .

الثالث: من يسترسل في طيرته وتشاؤمه وتوهماته وشكوكه ووساوسه، حتى يحصل له الهموم والحزن والخوف ويكون دائم التربص والتوقع، ولا يسعى في ردها ومكافحتها ومجاهدة نفسه كحال السابق حتى تتضاعف فيه وتستفحل، وهذا ينقص إيمانه بقدر طيرته فإذا ترتب على تطيره فعل أو ترك كان من القسم التالي .

الرابع: من ترده الطيرة والتشاؤم ويفعل أو يترك عند حصولها وتتغير أفعاله عند وجودها، فإذا رأى ما يتشاءم منه ترك ما بيده من فعل .

فإذا رأى مثلا حيواناً كالقرود وطيراً كالبوم والغربان وهو يريد السفر ترك السفر وأجّله، وإذا دخل عليه رجل مريض أو أعور أغلق دكانه وترك بيعه .

ومن هذه صفته يكون آثما ومرتكبا للشرك الأصغر .

الخامس: من يزيد على سابقه بالخوف مما تطير منه ويعتقد أن هذه المخلوقات لها تأثير حقيقي وتصرف في الكون ولها أثر فيما سيستقبله من العمل ويؤمن بوجود التأثير لهذه الأمور المتطير فيها في الحوادث .

وصاحب هذه الصفة والعقيدة كافر مشرك شركا أكبر والعياذ بالله .

م (١٤): أمثلة معاصرة للطيرة :

قول العامة : خير ياطير، وقولهم: يا الله صباح خير، بنسبة الخير والشر للطير وللصباح، ومثله قولهم: لا يخبرني الطير.

من إذا رأى حيوانات كالقرود البوم والغراب وهو يريد السفر ترك السفر.

من يتشاءم إذا دخل عليه رجل مريض أو أعور أغلق دكانه وترك بيعه .

من يسمي شهر صفر صفر الخير، فداوى البدعة في التشاؤم ببدعة أخرى .

من يفتح المصحف فأي آية وقع نظره عليها تفاءل بها أو تشاءم حسب موضوعها .

ومن ذلك تشاؤم الأمريكان بيوم الثلاثاء الأسود بعد ضربات الحادي عشر من سبتمبر.

م (١٥) : أدلة دخول الطيرة في الشرك:

قال النبي ﷺ :(الطيرة شرك). وفي رواية:(من الشرك) أبو داود والترمذي.

قال النبي ﷺ: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) رواه احمد.

م (١٦) : وجه كون التطير والتشاؤم من الشرك وعلاقتها بالتوحيد:

أولاً: أن فيها اعتمادا على غير الله، وتعلقا بغيره، وهذا من الشرك في الألوهية .

ثانياً : أن فيها اعتقاد وجود النفع والضر والتدبير والتصرف والتأثير في غير الله في الطير والمتشائم به أو أن له علاقة سببية بذلك . وهذا من الشرك في الربوبية .

قال البغوي: (جعل الطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع الله) من التيسر.

ثالثاً : أن فيه تخرصاً بعلم الغيب .

م (١٧) : متى تكون الطيرة شركا أكبر ومتى تكون شركا أصغر :

إن اعتقد المتشائم في طيرته وشؤمه أنها تفعل بذاتها وتستقل في حصول النفع والضر ولها تأثيرا حقيقيا، أو وصل خوفه منها إلى خوف السر فهذا شرك أكبر .

إن اعتقد أنها مجرد أسباب ، أو علامات ودلائل لحصول الشيء فشرك أصغر.

م (١٨) : وجه دخول التطير في السحر:

ورد في الحديث:(العيافة والطيرة والطرق من الجبت) والجبت هو السحر .

ليست الطيرة من السحر في الحقيقة، لكن وجه إدخال التطير في السحر لما بينهما من تشابه في ادعاء علم الغيب بطريقة خفيّة ونسبة التأثير للمخلوق والتعلق بغير الله، وهذا مثل إدخال البيان والنميمة في السحر لمشابهتها له في بعض الأوجه .

م (١٩) : أوجه تحريم الطيرة :

١- أن فيها نسبة التأثير والتدبير والتصرف في الكون لغير الله تعالى .

٢- إثبات النفع والضر والقدرة وتعليق الحوادث ونسبة الخير والشر بها.

٣- إدعاء علم الغيب، ومحاولة كشفه من خلالها .

٤- سوء الظن بالله تعالى.

٥- تعلق القلب بغير الله وقصده ولجوئه إليه والاعتماد على المخلوق ورجائه .

٦- منافاتها للتوكل الواجب والاعتماد على غير الله.

٧- الخوف من المخلوق ومهابته وخشيته.

٨- ما فيها من الأوهام والخرافات وإضعاف القلوب وتشتيت الأمة.

م (٢٠) : كفارة الطيرة :

أولا : الدعاء الذي يقال قبل حصول التطير وعند وقوع مقدمات الطيرة فيكون دافعاً لها وواقياً من حصولها وهو : (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك). وقد ذكرت الطيرة عند ﷺ فقال: (إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات...). رواه أبو داود

ثانيا : دعاء كفارة التطير : وهو الدعاء الذي يقال إذا حصل من المسلم تطير ووقع في التشاؤم :(اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) .

يدل له ما جاء عن ابن عمرو وابن عباس: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) رواه الإمام أحمد.

م (٢١) : مما يذهب الطيرة بالكلية :

١- التوكل على الله وصدق الالتجاء إليه، ويدل لذلك قوله ﷺ: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) رواه أبو داود والترمذي.

٢- حسن الظن بالله والتفاؤل.

٣- البعد عن أسباب الشر ، والإعراض عنها. ٤- الإيمان بالقدر .

م (٢٢) : بدائل الطيرة :التوكل ، العمل بالأسباب، الاستشارة ، الاستخارة .

وقد جاء في الشرع الحث عليها، وهي لا تنافي التوكل وتعتبر من الأسباب الشرعية وليست من الأسباب البدعية المحرمة كالتطير .

م (٢٣) : التطير في العقيدة وليس في المتطير به :

التشاؤم والتطير إنما هو في نفس المتطير والمتشائم وما تكنه نفسه وتعتقده، وليس في ذات ما تطير به شيء من ذلك ، إذ لا أثر له في الشر والخير.

يدل له قولهﷺ: (ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم). رواه مسلم .

م (٢٤) : الجمع بين قوله ﷺ :(لاعدوى) وقوله:(فمن أعدى الأول):

أن النفي واقع على العقيدة لا على الوجود، فهو على ما كانت العرب تعتقده من وجود التأثير في هذه الأمور، وأما الإثبات فواقع على أصل وجودها، فالعدوى موجودة أثبتها حديث:(فر من المجذوم فرارك من الأسد) البخاري،وحديث:(لا يورد ممرض على مصح) مسلم، والنفي متعلق بما يعتقد من استقلالها في التأثير. ومثل ذلك الحديث المتفق عليه في النهي عن دخول أرض فيها طاعون ووباء ولا الخروج منها، ومثل ذلك الغول التي هي الجن على صور الوحوش موجدة بقدر الله.

م (٢٥) : حديث الشؤم في ثلاثة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول : (إنما الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار) رواه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وأموالنا ثم تحولنا عنها إلى أخرى فقلت فيها الأموال وقل عددنا ، فقال رسول ﷺ : (ارحلوا عنها وذروها وهي ذميمة) رواه ابوداود .

ومعناه: أن التشاؤم قد يحصل في هذه الأشياء لما قد يوجد فيها من شر وسوء.

وسُئل الإمام مالك عن هذا الحديث ، فقال: كم من دار سكنها قوم فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا . أخرجه أبو داود .

وليس في الحديث ما يدل على جواز التطير والطيرة، لأنه ليس فيه تجويز اعتقاد التأثير، وإنما إثبات ما فيها من شر محسوس ينفر الإنسان فيه .

وذهب بعض أهل العلم إلى إن هذا الحديث مستثنى من أحاديث النهي عن الطيرة والتطير.

قال ابن رجب : (أن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جبلت عليه ويستعيذ به من شرها وشر ما جبلت عليه) لطائف المعارف ١٥٧ .

م (٢٦) : شبهات :

تغيير الرسول ﷺ أسماء بعض أصحابه .

حديث:(لا طيرة والطيرة على من تطير) رواه ابن حبان.

قد يظن البعض أنها مجوزة للتطير وليس الأمر كذلك .

فإن تغيير الأسماء واختيار الاسم الحسن في القيام له ببعض أعماله كحلب اللقحة ومن يسوق الإبل بالاسم، هو من باب التفاؤل ومحبة الأسماء الحسنة والاستبشار بها وكراهية الأسماء القبيحة ونفوره منها كل ذلك من حسن الظن بالله ولم تؤثر في شيء من أفعاله ﷺ فلم ترده عن أمر كان يريد أن يفعله .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة في محاولة تغيير اسم أبي سعيد المسيب من حزن إلى سهل ورفضه فما زالت الحزونة فيهم : (قد يظن من لا يمعن النظر أن الذي نزل بهم هو من جهة اسمهم ويصح بذلك أمر الطيرة، ولو كان الأمر كما ظنوه لوجب أن ينزل بجميع من تسمى باسمهم من أول الدهر، وأما نزول الحزونة بهم فعقوبة لعدم استجابتهم للرسول ﷺ ، والرسول ﷺ استحب تغيير الأسماء المكروهة لنقلهم عن مذاهب آبائهم واعتقاداتهم الفاسدة وتطيرهم الشركي).

أما حديث :(لا طيرة والطيرة على من تطير) فعلى ضعفه فإن معناه الطيرة على من تطير أي إثم الطيرة على من تطير .

قال ابن عبد البر : (لو كان معناه كما ظننت لكان هذا الحديث ينفي بعضه بعضا، لأن قوله لا طيرة نفي لها، لكن معناه إثم الطيرة على من تطير بعد علمه بنهي الرسول ﷺ عن الطيرة) . التمهيد ٩/ ٢٨٤.

م (٢٧) : أخطر التطير ما كان بالله وبدينه وبالتوحيد وأوليائه .

أخطر التطير ما كان بالله تعالى وبدينه وبالصالحين وأهل الدين من العلماء أو المحتسبين أو الدعاة أو المجاهدين . وقد سمعنا من يصرح بالتشاؤم بهؤلاء، كمن يقول: ما رأينا الخير من جماعة صلوا ويقصد المحتسبين، أو يقول: ما جاءتنا المصائب وتسلط الكفار إلا بسبب المجاهدين. وما فرق الأمة إلا التوحيد أو الجهاد .

وهذا التشاؤم يدخل في نواقض الإسلام في ناقض البغض والكره .

ومن هذا الباب تشاؤم الكفار بالرسل كما في قولهم: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ يس: ١٨ وكتشاؤم قريش برسولنا ﷺ وقولهم : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ النساء: ٧٨، وكتشاؤم المشركين بالتوحيد : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ الزمر: ٤٥.

م (٢٨) : الفأل :

هو الكلمة الطيبة والاستبشار والتيامن والتوقع بحصول ما يسر .

مثاله أن يكون شخص مريض فيسمع من ينادي يا سالم فيتفاءل أو يعمل له شخص اسمه ناجح فيقول إن شاء الله إن العمل سينجح .

وكان الرسول يحب الفأل ويعجبه قال ﷺ : (ويعجبني الفأل) متفق عليه.

والفأل من الطيرة ويدل لذلك قوله ﷺ : (أحسنها الفأل) رواه أبو داود.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : (أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها فأبطل الطيرة، ونفى عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شرك ويخلص الفأل منها) .

م (٢٩) : الفرق بين الطيرة والفأل :

الطيرة فيها سوء ظن بالله وقطع للرجاء وقنوط من الخير ويأس من رحمة الله.

والفأل فيه حسن ظن بالله وتوكل عليه ورجاء له .

كما أن الفأل تقوية للعزيمة وليس هو المؤثر في الفعل أو الدافع لـه فلـيس فيـه تعلق بغير الله وهذا بخلاف الطيرة .

قال الحليمي:(وإنما كان يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغـير سـبب محقق والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال) .

م (٣٠) : مما له علاقة بالباب الاستقسام بالأزلام :

الاستقسام بالأزلام وهي أواني وأقداح يكتب على بعضها أمضي أو أمرني ربي ويكتب على الآخر لا أمضي أو نهاني ربي فيرمي بحجر فإذا وقع على الذي فيه الأمـر بالإمضاء يمضي وإلا لم يمض ، ومثلها ما يسمى بالحظ واعرف حظك، تشبه التطـير لوجود نسبة السببية لغير محلها وجعل ما ليس بسبب سببا.

وكل ذلك فيه قدح في التوحيد وتعلق بغير الله وادّعاء علم الغيب .

وفي بعض من يفعل ذلك اعتقاد التأثير في هذه الأمور وأن لها تصرفاً وتـدبيراً في الخلق وحوادث المستقبل ، ولا شك أن هذا شرك في الربوبية .

ومثل ذلك ما يشيعه بعض العوام الخرافيين من ربط بعـض الأمـور بأسـباب باطلة ، كقولهم: إذا صرت الأذن فمعناه أن شخصا تكلم فيك، وإذا حـك الإنـسان يده اليمنى فسينال مالاً، وإذا رمشت عينه فسيحصل كذا ، وإذا طار الـدبور فـسيأتي مطرا ، وأمثال ذلك كثير من الشركيات في باب الأسباب .

الفصل الرابع عشر : الاستسقاء بالأنواء

موضوعه: حكم الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر للنجوم، وكيفية دخوله في الشرك ومنافاته للتوحيد .

علاقتها بالتوحيد:

لأن الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر للنجوم فيه تعلق بغير الله واعتقاد النفع فيه والتأثير وهذا مما يقدح في التوحيد كما سيأتي .

وهذه المسألة متعلقة بذرائع الشرك والشرك الأصغر في الأسباب ، منها :الرقى ، التمائم، التبرك ، التطير ، الغلو. وله تعلق بباب شرك الألفاظ ، وبباب نسبة النعم لغير الله ، وباب نسبة الحوادث للمخلوق .

كما تتعلق بأبواب السحر والتنجيم لوجود مناسبة بينها.

و الاستسقاء بالأنواء متعلق بالنجوم وداخل في باب التنجيم.

الأدلة على المسألة:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢.

٢- عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺقال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة) . وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم.

٣- عن زيد بن خالد ﷺ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا

قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) متفق عليه .

٤- حديث ابن عباس، وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات :﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ - ٨٢. متفق عليه.

م (١) : معنى الاستسقاء بالأنواء والنجوم:

النوء: هو غياب نجم وظهور غيره مكانه . والاستسقاء: طلب السقيا والمطر.

والمعنى: نسبة نزول المطر للأنواء وطلبه منها . فهما معنيان للاستسقاء بالنوء.

م (٢) : فائدة : جاءت الأحاديث بألفاظ (إيمان بالنجوم) (التصديق بالنجوم) (الاستسقاء بالنجوم) . معنى التصديق والإيمان واحد وهو: أن يصدق ويؤمن أن لها تأثيراً أو سبباً في السقي والمطر.

فائدة : تعلق الاستسقاء بالنوء والنجم ، والنوء والنجم هما بمعنى واحد.

م (٣) : حقيقة المسألة نسبة المطر للكواكب والشتاء :

نسبة الأحوال والحوادث للكواكب ومحاولة إيجاد مناسبة حاضرة أو مستقبلية وعلاقة سببية، فإن قارنه دعوى التأثير أو معرفة الغيب كان أشنع شركا .

قال النبي ﷺ حين نزل الشهاب ما كنتم تقولون فيه، قالوا موت عظيم . فأخبر أنه لا ارتباط له بما يصير وليس له علاقة وإنما هو لرمي مسترقي السمع،رواه مسلم.

م (٤) : **معنى الرزق والتكذيب:** ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ :

التكذيب يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهو ما يعرف بالتكذيب العملي.

الرزق : المطر وغيره .

م (٥) : **حالات التكذيب بالرزق الواردة في الآية** : للتكذيب ثلاث حالات:

١- نسبة المطر للنوء والنجم .

٢- أي أنكم جعلتم شكر نعمة الرسول والقرآن أنكم تكذبون به .

٣- أن المعنى أن يشكر الناس على أرزاق الله ونعمه وينسب الفضل لهم.

م (٦) : **وجه الإيمان والكفر في: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر).**

الإيمان نوعان أصل باعتقاد الربوبية لله وأنه هو الذي خلق النعم وتفضل بها وقدرها وكمال بشكره عليها ، والكفر أكبر باعتقاد خالق مؤثر لها ، وأصغر بشكر المخلوق عليها أو إسنادها لسببها ونسيان مسببها أو اعتقاد السببية فيها.

م (٧) **أقسام وألوان وأوجه الاستسقاء بالنجوم :**

١- أن يزعم معرفة الغيب عن طريق النجوم ووقت نزول المطر بالأنواء وحركة النجوم ، وهذا شرك أكبر لما فيه من ادّعاء العلم الغيبي .

٢- أن يعتقد العبد أن النجم هو الذي أنزل المطر وأنه مدبر ومتصرف وله تأثير، إما بذاته من دون الله أو بما جعله الله فيه من القدرة على التأثير، وهذا شرك أكبر في الربوبية لاعتقاد التأثير والخلق والقدرة والربوبية في غير الله .

٣- أن يعتقد أن النجم له علاقة سببية ورابطة ودلالة على نزول المطر فخروج نجم كذا في وقت كذا سبب لنزول المطر وهذا شرك أصغر .

٤- نسبة المطر للنجم من باب الظرفية والوقت :

كأن يستدل بالنجم على نزول المطر دون نسبة المطر إليه، كقولهم فصل الشتاء يكثر فيه المطر وطلوع الشولة المسماة بالربيع والمربعانيه عندنا دليل قرب شدة البرد.

وطلوع الثريا وهي التي نسميها الوسمية والوسم علامة ودليل على قرب المطر غالبا دون تعليق الأمر به لا استقلالا ولا سببا وأنما يكون للظرفية .

٥- دعاء النجوم ومخاطبة الكواكب وعبادتها ، فيكون قصد المستسقي بالنوء طلب المطر من النجم والنوء أغثنا يا نوء كذا ، وهذا شرك في الألوهية .

م (٨) : **فوائد النجوم**: زينة للسماء ، علامات يهتدى بها ، رجوم للشياطين.

م (٩): **متعلقات الأنواء ومنازل القمر وظروف الزمان ومشتقاته** :

كره قتادة وابن عيينة تعلم منازل القمر وأوقات النجوم كما تقدم والصحيح جوازه لقوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾ يونس: ٥.

منازل القمر: المنزلة المكان الذي ينزل فيه ويخرج منه ويسير فيه من السماء فشبه بالمنزل للقمر . والمنزلة تشمل نجم أو عدة نجوم وينزل القمر كل ليلة في حذاء أحد النجوم والتي تسمى منزلته وللقمر ثمان وعشرون منزلة في الشهر. وهي:

القلب والشولة وهي التي نسميها الربيع والمربعانيه، والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد السماك والفرع المقدم والفرع المؤخر والرش والشرطين والبطين والثريا وهي الوسم والدبران والهقعه والهنعه والذراع والنثره والطرفة والجبهة والزبده والصرفة والعواء والسماك والغفر والزباني والإكليل .

وظروف الزمان : الوقت، الحين، الدهر، اليوم، السنة، الشهر، وغيرها.

السنة : وهي مدار الشمس في الأبراج وهي نوعان شمسية وقمرية هلالية.

والشهر : سمي شهرا من كونه يشهر ويعرف بالهلال أو البرج وهو نوعان.

والسنة أربعة فصول كل فصل يتكون من عدة بروج وتعرف بالنجوم.

والبروج : مجموعة من النجوم :وهي الجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس .

والنجوم تنقسم إلى سيارة وهي التسعة وثابتة كالثريا.

م (١٠) : النسيء :

هو التأخير ومعناه أن يؤخر الشهر ويغير مكانه وقد أخذته العرب من اليهود بعد أن كانت تسير على الأهلة قامت بمساواة الأشهر والسنة القمرية بالشمسية لمصالحهم فجعلت الحج يقع في أعدل الفصول لتتم مصالحهم التجارية الاقتصادية، وكانوا يؤخرون الأشهر الحرم ليقاتلون متى يشاؤون فكان هذا من تغيير ملة إبراهيم ومن الكفر ولما جاء الإسلام حرم ذلك وحين حج الرسول ﷺ كان حجه في وقت الحج ووافق أشهر الحج وهذا معنى استدارة الزمان الذي أخبر به.

م (١١) : وجوب العمل بالأهلة والتاريخ الهجري :

يجب العمل بالأشهر القمرية لأن عليها مدار الأحكام الشرعية الحج وصيام رمضان وفي السنة الهجرية تذكير بعزة المسلمين، ويحرم العمل بالسنة الميلادية والأشهر الشمسية الأفرنجية لما في ذلك من تضييع لمبادئ الشريعة والتشبه بالكفار.

واليوم عند المسلمين يبدأ من غروب الشمس فالمساء قبل النهار وعند أهل الفلك يبدأ من طلوع الشمس فيكون قبل الليل وعند أهل التنجيم يبدأ من الزوال.

ويوجد لكل أمة الهند والقبط والفرس واليهود والآشوري والمقدوني وغيرهم. أسماء للشهور والأيام ، وكثير منها مسماة بأسماء الآلهة كما تقدم .

وعند العرب للشهور والبروج معاني وقد غيرت العرب أسماء الشهور بعد أن قامت بالنسيء ومحاولة جعل الأشهر القمرية موافقة للأبراج والأشهر الشمسية .

فليتنبه أهل التوحيد لمداخل الشرك التي سدها الشرع في باب الأنواء والكواكب والقبور وغيرها وليسلكوا السبيل في حماية جناب التوحيد .

الفصل الخامس عشر : وسائل الشرك التي في باب السحر

حكم الذهاب للسحرة والكهنة : له حالات وأقسام :

ومن أدلة الوعيد المتعلقة بإتيان السحرة والكهان وتصديقهم :

حديث أبي موسى ﷺ مرفوعا : (ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر) رواه أحمد وابن حبان .

وحديث: (أخاف على أمتي ثلاث) وعد منها (التصديق بالنجوم) و(إيمان بالنجوم) رواه أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن عساكر.

وحديث: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ).

الأول : إن طلب منهم سحراً له فطلبوا منه أن يكفر ويشرك كأن يذبح ولا يسمي أو يسب الدين أو يهين آيات القرآن كأن يكتبها بالدم ونحو ذلك .

الثاني : من يأتيهم ليسألهم عن أمر غيبي مصدقا لهم، وهذا معنى يصدقهم أي يصدقهم في ادعاء الغيب ويعتقد أنهم يعلمون الغيب مع الله أو أن الله أعلمهم بالغيب ودلهم على أسبابه فهو كافر خارج من الإسلام لا شك فيه.

والدليل على ذلك ما رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

ولأنه مكذبٌ بالقرآن:﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٦٥.

الثالث : إن أتاهم وسألهم مع عدم تصديقهم في ادعاء الغيب ومعرفته كذبهم وحقيقة حالهم، مثل من يأتيهم ليسألهم عما ضيعه أو من سحره مع علمه بكفرهم

وأن الغيب لله، فهذا فعل محرما دون الكفر، وعقابه أن صلاته لا تقبل أربعين ليلة.

والدليل حديث: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) مسلم.

الثالث: من سألهم ليبين كذبهم أو يفضحهم ويبين تلبيسهم وعجزهم فهذا مشروع وقد فعله النبي ﷺ لابن صياد حين سأله عن الدخان، والحديث متفق عليه.

قاعدة: متى يعتبر الذهاب للساحر وطلب السحر منه كفرا:

لا يعتبر مناطا للكفر إلا مع وجود أحد أمرين:

الأول: تصديقه في ادعائه علم الغيب والقدرة الكاملة.

الثاني: لو فعل مكفراً كالذبح للجن وإهانة المصحف وسب الدين.

فائدة: الحكمة من تحريم إتيان السحرة والكهنة وحضور مجالسهم ونواديهم:

لأن ذلك قد يكون مدعاة إلى تصديقهم والتأثر بهم وهذا كفر بذاته، لأن فيه إثبات علم الغيب للمخلوق، وكذلك في الذهاب لهم ترويج لباطلهم ودعاية لهم ونشر للكفر وتغرير بالعوام والجهلة فيصدقونهم ويذهبون لهم.

فائدة: صورة معاصرة للمسألة:

ويدخل في هذا الحكم والوعيد المتعلق بإتيان السحرة والكهان وتصديقهم، من يجري مقابلات تلفزيونية أو صحفية مع السحرة والكهنة والعرافين، ومن ينظر إليهم في الإعلام معجبا ومستحسنا وراضيا بخروجهم.

مبحث : النشرة

م (١) : **تعريف النشرة** : تطلق من حيث الأصل على فك السحر وحله .

م (٢) : **النشرة نوعان** : فك السحر برقية مباحة ، وفك السحر بسحر مثله .

ويطلق البعض النشرة على علاج السحر وفكه بسحر مثله فقط.

م (٣) : **حكم النشرة التي هي استخدام السحر لفك السحر** :

محرمة بل وكفر لأنها سحر والسحر كفر ولم يستثن الله ﷻ منه شيئاً .

والأدلة على تحريم فك السحر بالسحر :

١- عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد بسند جيد أبو داود.

٢- حديث:(اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك). مسلم.

والنشرة سحر والسحر من عمل الشيطان وفيه شرك ولابد، فكان تحريمها متعينا.

٣- أن القول بإباحة سؤال السحرة وطلب علاجهم للسحر بالسحر فيه إقرار السحر وإبقاء للساحر وعدم قتله والرضا بفعله واللجوء إليه عند الحاجة، وفي هذا من أصناف الكفر ما لا يخفي .

٤- أن السحر لا خير فيه أبداً ولا نفعع منه مطلقاً كما قال الله تعالى عنهم:

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ البقرة: ١٠٢ ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ طه: ٦٩.

٥- أما ما يستدل به المخالف في إباحة النشرة :

* من سؤال عائشة رضي الله عنها للرسول ﷺ حين سحر . يا رسول الله هلا تنشرت ؟ فقال النبي ﷺ : (أما الله فقد شفاني) رواه الشيخان.

* وقول سعيد بن المسيب لما سأله رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال : (لا بأس إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل) رواه البخاري .

* وقول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر، محمول على علاج المسحور بالرقى المباحة وليس السحر كما توهمه البعض وقد بين مراد ابن المسيب ابن القيم وغيره .

وهل يعقل أن يبيح الرسول ﷺ الذهاب للسحرة وهو الذي أمر بقتلهم وأخبر بكفرهم ودل أمته على كل خير وهل في الذهاب للسحرة من خير .

وهل يظن بابن المسيب والحسن تجويز الذهاب للسحرة كما فهم البعض حين جهلوا مقصود السلف من النشرة ومعناها في لغة العرب وإطلاقات الشرع .

قال ابن القيم في زاد المعاد: (النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز).

م (٤) : أقسام المتعالجين بالسحر وأحكامهم :

الأول:أن يتعالج وهو راضٍ بالسحر مصدقٌ للساحر، فهذا كفر أكبر لما تقدم.

الثاني : أن يتعالج وهو ليس راضٍ بالسحر ولا مصدقاً للساحر، ولكن يأمره الساحر أن يذبح للجن ، فهذا يكفر لذبحه لغير الله .

الثالث : أن يتعالج ولا يرضى بالسحر ولا يصدق الساحر، ولا يفعل ما يأمره به الساحر من الشرك أو غيره ، ولكن يدفع مبلغاً فقط ليقوم الساحر بحل السحر عن طريق الاستعانة بالجن والشياطين ، فهذا اختلف فيه العلماء على أقوال :

الأول:أنه جائز، لأن الضرورات تبيح المحذورات ، وهو رأي بعض الحنابلة.

القول الثاني : أنه كفر مطلقا .

الثالث: أنه محرم سدا لذريعة الكفر ، وهذا رأي جمهور العلماء وهو الصحيح.

أعمال فيه نوع سحر :

الشعوذة : (بالواو والباء) : الشعوذة ليست سحراً في الحقيقة وإنما هي من باب الخداع وخفة اليد وسرعة الحركة والاستعانة بالمواد الكيميائية والعناصر التي لها خصائص خافية على الناس ويكثر هذا فيما يسمى بالألعاب البهلوانية وهي الكيمياء قديما فالكيمياء في القدم كانت تطلق على مثل ذلك ومثلها النيرنجات .

التنويم المغناطيسي : هو من أحد الطرق الدجلية التي تمارس في زماننا ويقوم بها أناس يدعون ما يدعيه السحرة من القدرات وقد يكون فعلهم فيه استعانة بالشياطين . ومما يقارن التنويم محاولة مخاطبة النائم وسؤاله والحديث معه بعد نومه وغالبا ما يكون ذلك بطريق الشعوذة أو الاستعانة بالشياطين والسحر .

الألعاب البهلوانية والسيرك :

ومن أمثلتها رمي السكين على بطن شخص وطعنه وضرب رأس الغير بالسيف وإخراج النار من الفم وابتلاع الجمر والمشي من شاهق على حبل دقيق وغير ذلك، وهي تدور بين السحر الحقيقي والشعوذة وما كان مبنياً على التدرب وقوة الجسد فيأتي البهلواني وصاحب السيرك أمام الناس مظهراً مهارته وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره في الغالب ، وما يقوم به هؤلاء إن كان سحرا حقيقيا فهم كفار وإن كان من غير سحر وإنما شعوذة فهم ليسوا كفاراً إلا أنه يجب منعهم بل وتعزيرهم تعزيراً بالغاً لكف شرهم وردعاً لغيرهم وسداً للذريعة، وإن مما ينبغي للمحتسب على هؤلاء أن لا ينظر إلى ادعاء هؤلاء أن أفعالهم ليست إلا مجرد خداع وشعوذة وليست بسحر ، فإن هذا أمر أغلبه غير معلوم التفريق فيه عندنا .

الروحية الحديثة وعقيدة تحضير الأرواح :

يدعي أصحابه أنهم يستطيعون إحضار أرواح الموتى بوسائل يدعونها ومن ثم يسألونها ويخاطبونها ويأمرونها ويطلبون منها ما يريدون ويدعون أن فعلهم هذا ليس سحراً ولا فيه استعانة بالشياطين ولا حضور لها . وكل هذا من الكذب فلا يمكن لشخص تحضير روح الميت، والحقيقة أن الذي يخاطبهم الشياطين ويستدرجون عقولهم البلهاء ومن ينخدع بأفكارهم البسيطة الساذجة .

وهذا المذهب مذهب كفري حوى كفريات ويشبه عقيدة تناسخ الأرواح .

مبحث : التنجيم

م (١) : تعريف التنجيم :

التنجيم على وزن تفعيل، نسبة للنجم والكواكب .

أو هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

م (٢) : أقسام علم التنجيم :

الأول : علم الأسباب والتسيير : وهو الاستدلال على الجهات وأوقات الزرع بالنجوم وسيرها وخروجها وهذا جائز .

الثاني : علم التأثير والأحكام : وهو الاستدلال على أمور الغيب بالنظر في النجوم واعتقاد أن للنجوم أحكاماً وتأثيراً فيما يحدث في الأرض ، وهذا كفر أكبر .

م (٣) : علم الحساب :

وهو استخراج وقت الكسوف ودخول الشهر والهلال والولادة ونحو ذلك بالنجوم وحسابها وهذا علم كرهه السلف ولا يعتمد عليه في الشرع .

قال الرسول ﷺ : نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا. (صوموا لرؤيته) أي الهلال ونهى عن الاعتماد على الحساب في مثل هذا .

م (٣) : تعلم علم الفلك :

كره قتادة وابن عيينة تعلم منازل القمر وأوقات النجوم وذلك سداً للذريعة والدخول في تعلم القسم المحرم منه وهو علم التأثير فيكفر متعلمه ، بينما رخص فيه بعض السلف ، وسنعرف بمنازل القمر في باب الاستسقاء بالأنواء.

م (٤) : أوجه كفر المنجم والكفريات التي في التنجيم:

الأول : الاستعانة بالشياطين والشرك بهم وعبادتهم، وهذا شرك في الألوهية .

الثاني:اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في حوادث الأرض وخلقا وقدرة ونفعا وضرا. فينسب السعود والنحوس لها وهذا شرك التأثير والتدبير والقدرة والخلق.

الثالث: إدعاء علم الغيب عن طريق النظر للنجوم وهذا شرك في الربوبية. فيدعي معرفة الغيب عن طريقها وهذا شرك العلم وهذا شرك ربوبية .

الرابع:مخاطبة النجوم ودعاؤها والخوف منها وعبادتها، وذا شرك في الألوهية.

الخامس : جعل علاقة سببية ورابطة بين ما يحصل في الأرض من حوادث وربطها بطلوع الأنواء وغيابها وحركة الأفلاك ، من دون أن يعتقد فيها الخلق والتأثير ، وهذا شرك أصغر وما سبق من الأوجه الأربع فكله شرك أكبر.

م (٥) : فوائد خلق النجوم :

الأول: زينة للسماء وتدبر خلق الله.

الثاني: رجوم للشياطين ، ودليل هاتين الحكمتين قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ٥.

الثالث: علامات يهتدي بها الناس ويعرفون الجهات وأوقات الحرث.

ودليل هذه الحكمة قوله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل: ١٦ .

ومن ادعى في النجوم فائدة غير ذلك فقد تعدى وكذب ، قاله قتادة.

ومن ذلك ما يدعيه أصحاب الهيئة وأرباب التنجيم من أن النجوم فيها دلائل وعلامات وإشارات وروابط للتنبؤ عن المستقبل وهو من الكذب الصريح .

الفصل السادس عشر: التصوير والصور

م (١) تعريف التصوير :

التصوير من الفعل صوّر وهو بمعنى التقدير والخلق .

م (٢) : حكم التصوير :

التصوير يعتبر محرما ومن كبائر الذنوب .

ويكون كفرا في حالتين :

الأولى: إذا استحل المصور فعله فيخشى عليه من الردة وما أكثر هؤلاء.

الثانية: إذا قصد المشابهة والمضاهاة.

م (٣) : وجه دخول التصوير في الشرك الأصغر العملي:

١- لأن فيه تشبها بالله في أخص صفاته وهي الخلق .

٢- أن فيه تعظيم المخلوق والغلو فيه.

٣- كما يدخل فيه من ناحية كونه وسيلة للشرك الأكبر وعبادة غير الله .

م (٤) : التصوير يعتبر من الشرك في الربوبية .

لأن فيه مشابهة لخلق الله الذي هو من أفعال ربوبيته .

والمصور من أسماء الله التي تفرد بها .

والتصوير من أفعال الله وصفاته .

والتصوير أحد مراتب الخلق الثلاث ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ .

ولذلك سمى الله تعالى التصوير خلقا : (يخلق كخلقي).

فائدة : الأفعال التي فيها مشابهة ومضاهاة: التصوير ، التشريع ، الكبر .

م (٥) : الأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على حرمة التصوير :

١- ما جاء عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى : (**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذره أو ليخلقوا حبه أو ليخلقوا شعيره**) رواه البخاري ومسلم .

ومعلوم أن الخلق هنا التصوير إذ أن الإنسان لا يخلق حقيقة وإنما خلقه الذي أنكره الله هو التصوير وليقف المسلم عند أمر الله وليعلم هذا الحديث ويعمل به وليحاسب نفسه ويدع التعلل بالشبهة والتلاعب بدين الله .

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**) رواه البخاري ومسلم .

٣- عن عبد الله ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**) رواه مسلم .

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**) متفق عليه .

٥- لمّا جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : إني رجل أصوّر هذه الصور فأفتني فيها، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم**) . ثم قال له : إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس فيه . رواه مسلم.

٦- وعنه أيضاً مرفوعاً (**من صوّر صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**) رواه البخاري ومسلم .

فليحذر كل الحذر المصورون بالكاميرات والجوالات والرسامون ومعلقو الصور من عموم هذا الحديث وليحاسبوا أنفسهم ويقفوا عند حدود الله ولا ينتهكوا محارم الله .

٧- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي ﷺ: ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ :(**أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**) رواه مسلم. وفي لفظ : (تمثالا) بدل القبر.

وهنا نكره في سياق النهي وهي من دلالات العموم فلا تدع صوره إلا وتطمسها وتزيلها بيدك بأمر رسول الله ﷺ غير ناظر لمخالفة غيره أو غضب وأمر المخلوق، وفي قوله طمستها والتفريق بينه وبين الشيء البارز دليل أن الصورة ليس لها ظل ، ويؤيد ذلك حديث عائشة الذي سيأتي في الصور التي كانت على الوسادة.

٨- قال ﷺ :(**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**) رواه البخاري .

٩- عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت على بابي درنوكاً - أي ستر له خمل - فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته . متفق عليه.

وفي رواية:سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه .

١٠- وعنها أنها اشترت نمرقة - وسادة - فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب ولم يدخل فعرفت في وجهه الكراهة ، فقالت : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت فقال رسول الله ﷺ : ما بال هذه النمرقة . فقالت اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ: (**إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم أحيوا ما خلقتم**) رواه البخاري ومسلم .

م (٦) : أوجه الحكم بتحريم التصوير وعلة النهي عنه وعلاقته بالتوحيد:

١- مشابهة لخلق الله ومضاهاة لصنعه وفعله كما في حديث أبي هريرة وعائشة.

٢- أنه وسيلة عظمى للوقوع في الشرك إذ أن أول شرك وقع على هذه الأرض حصل في قوم نوح وكان سببه التصوير كما جاء عن ابن عباس في ذلك .

٣- فيه تعظيم غير الله والتعظيم من خصائصه عز وجل الذي لا يستحقه أحد سواه ولا يكون إلا له .

٤- التشبه بالكفرة الفجار في شنيع أفعالهم وقبيح تصرفاتهم خصوصاً اليهود والنصارى بتعليق صور علمائهم ورؤسائهم كما جاء في حديث أم سلمة .

٥- تنقص الرب ﷻ في محاولة التشبه به وترك الأدب معه وتعظيمه.

وغير ذلك من العلل القاضية بتحريم التصوير .

تنبيه : هذه العلل منها ما يرجع للربوبية وهو المشابهة ومنها ما يعود لنقض توحيد الألوهية وهو التعظيم وذريعة الشرك .

أدلة تحريم التصوير جاءت بصيغ العموم من غير تخصيص :

الملاحظ في أدلة تحريم التصوير الناهية عنه أنها جاءت عامة بدون استثناء مما يقطع بتحريم التصوير سواء كان التصوير للذكرى أو الدعوة أو التعليم أو التعليق أو غير ذلك وسواءً كانت الصور مرسومة باليد أو بآلة حديثة للتصوير بالفيديو أو بالنت أو بالجوالات أو كانت تمثالاً مجسماً، كل هذا داخل في عموم الصور المحرمة المشتملة على علل التحريم التي جاءت بها النصوص وبينها أهل العلم .

م (٨) : عمومات في تحريم التصوير :

أولاً : الصور غير التمثال ومن أدلة ذلك حديث لاتدع صورة ولا قبراً ولا تمثالاً ففرق بينهما في اللفظ ، وفي الإزالة ، فإزالة الصورة بالطمس ، والتمثال والقبر بالتسوية ، مما يبين أن الصورة ليس لها جسم.

ثانياً: تحريم التصوير يشمل ما كان باليد أو بآلة .

ونقول لمن خالف كما أن القتل يشمل ما كان باليد أو بآلة فكذا التصوير .

ثم يقال الرسول ﷺ نهى عن التصوير وحذر المصور ، فما هي اسم هذه التي خرجت من الآلة وماذا يسمى فعله ، فهل سيكون جوابهم أنها ليست صورة وفعلها لا يدعى تصويرا ، مما يدل على مخالفتهم للحقيقة الشرعية واللغوية والعرفية.

ثالثاً : التصوير يشمل ماكان له ظل ومجسم ومالم يكن كذلك .

تنبيه : المقصود بالتصوير ماله روح كما جاء في الأحاديث وما يفهم من حديث (يؤمر أن ينفخ فيه الروح) وتفسير ابن عباس ، والبعض عمم ولم يستثن.

م (٩) : عقوبات المصور :

١- أنه أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

٢- أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم.

٣- أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

م (١٠) : الأمر بطمس الصور ومخالفة الناس للأمر:

ومن العجب في زماننا تنافس كثير من المفتونين بتعليق الصور وإظهارها وتعظيمها بدل إنزالها وطمسها وإهانتها. وفي هذا أعظم المعاندة للشرع والعياذ بالله.

م (١١) الرد على من زعم أن تحريم التصوير مسألة خلافية :

ظهر بعض من ينتسب للعلم والدين في زماننا بفتوى باطلة وهي إباحة التصوير بالآلات الحديثة وانساق خلف فتاواهم كثير من الجهال .

وزعم كثير من المفتونين أن المسألة خلافية ، وهيهات ، أن يساوى قول من أدلته قال الله وقال رسوله وأدلته في الصحيحين بلعنة المصور وشدة عذابه وبين من دليله قول فلان وفلان ، وأدلة فلان وفلان أن هذا ليس بتصوير وإنما هو حبس ظل وهو مثل المرآة ونحو ذلك من ساقط القول وفاسد الفهم نعوذ بالله من الضلال ، ولما تجرأ من تجرأ بفتواه في هذه المسألة انبرى لرد فريتهم ابن باز والتويجري وعبدالله بن حميد وغيرهم وانظر ما أدت إليه فتواهم من فساد في الدين ونشر للشرك وتعظيم الخلق بتعليق صورهم ، فماذا ستكون حجتهم عند الله وقد بلغتهم نصوص الوعيد.

م (١٢) : رجوع شبهات مجيزي التصوير لأربع:

ليس لها جسم، ليست باليد وإنما بالآلة، ليس فيها مضاهاة،الفتاوى المخالفة .

وكلها لا تناهض عموم الأدلة الصريحة الصحيحة المحرمة للتصوير.

م (١٣) : تعليق الصور وتعظيمها :

مما يزيد الأمر شناعة تعليق الصور وتعظيم أصحابها وكأنهم آلهة معبودة معظمة من دون الله تعالى فقبحا لها.

وقد جمع هؤلاء بين فتنة التصوير وتعظيم المخلوق والغلو فيه.

اللهم إنا نبرأ إليك مما يفعله هؤلاء ومن جوز لهم ونعتذر إليك من ضعفنا ونشكو إليك قلة حيلتنا وهواننا على الناس.

م (١٤) : فائدة: العلة بين الجمع بين القبر والتصوير في حديث أبي الهياج وحديث: (بنوا على قبره مسجدا وصوروا على قبره التصاوير) ظاهرة وهي أن كلتيهما من وسائل وقوع الشرك .

م (١٥) : تنبيه : وضع خط على رقبة الصورة لا يغني عن طمسها .

م (١٦) : قاعدة : المنهيات تحرم ولو لم يقصد فاعلها العلة التي حرمتها .

ومن أمثلة القاعدة تحريم التصوير ولو لم يقصد المضاهاة والتشبه بالكفار في الزي الظاهر ولو لم يقصد المتشبه مشابهتهم .

م (١٧): عدم دخول الملائكة البيوت التي فيها صور ودخول الشياطين بدلها.

م (١٨) : انتشار التصوير في زماننا :

إن من الأمور التي ابتلينا بها في هذا الزمان ما نراه من كثرة التصاوير المحرمة التي حذر الله ورسوله من فعلها أيما تحذير وأوعد بالنار فاعلها والراضي بها والعياذ بالله . وقد انتشرت من قبل عن طريق الكمرات ثم فشت عن طريق الجوالات فوقع الكثير فيما هو أشد من التصوير ألا وهو استحلال التصوير، وهذا مصاب عظيم في الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله . والسبب في كثرة انتشارها المفرط هو قلة الإنكار الذي أخذ على أهل العلم وعدم تبيين الحق وإظهاره للناس طمعاً أو خوفاً أو ابتغاء رضا المخلوقين وطاعة في معصية الخالق.

ومن وسائل انتشار الصور والتصوير كثرته في الملابس والفرش والكتب والمجلات والألعاب والمواد التجارية والمعلبات الغذائية والفلوس والبطاقات.

ومن الفتن تصوير المحاضرات ومعارك الجهاد والأخبار وغير ذلك.

م (١٩) : وقوع الكثير في استحلاله

والعجيب أنه صار كثير يدافع عنها ويجادل ويشكك في تحريمها ووجوب المسارعة إلى طمسها كما أمر المصطفى عليه الصلاة والسلام فجعل من نفسه حارساً لمعاصي الله منتهكاً لحدوده مرضياً للناس بسخط الله . والكثير الأكثر من ماتت الغيرة في قلبه على دين الله فنزل الإنكار مع كثرة السكوت من الإنكار باليد أو اللسان إلى ترك الإنكار بالقلب فصار الإنسان يرى الصورة تلو الأخرى وربما في أقدس البقاع في بيوت الله ولا ينكر بقلبه ولا يتمعر وجهه غضباً لله ولو حصل في ماله أو عرضه أدنى تعدي لبان أثر الغضب في وجهه وتصرفه أما إذا كان التعدي على دين الله فلا يقيم لذلك وزناً همه دنياه وشهواته .

م (٢٠) : خطورة التصوير فهل من مدكر :

فهذه الأحاديث والعلل ذكرناها وبيناها تذكيراً للناس وهي علامة فارقة بين المؤمن المستجيب لأمر الله وبين المخادع لله المرتاب في دينه فمن لم يستجب لكلام الله ورسوله فلا خير فيه ولن يستجيب لكلام غيره والأشد ظلماً وفساداً أن يقدم قول المخلوق وأمره على أمر ربه،وليعلم أن من لم يستطع أن ينكر هذا المنكر بيده فلا أقل من أن ينكره بلسانه وإن عجز أو ادعى العجز فليحذر من فعله أو انطماس نور قلبه بعدم إنكاره فضلا عن استباحته وتبريره. فلينكر ولو بقلبه وليعتقد بطلان هذه الصور والتماثيل وليحذر أن يتشرب قلبه هذه المعصية ويستسيغها فيهلك ، فمن عصى الله وهو معترف خائف أهون ممن استهان بمعصيته ورضي بها واستحلها .

وتيقن يا عبد الله أن الله سبحانه سيسألك لا محالة ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ القصص: ٦٥ - ٦٦. فستعلم حينئذ ما كنت فيه من الحق أو ضده من الانقياد لله وحده الذي جاءك عن رسوله والأوامر التي جاءت بها شريعته ودينه أو الانقياد لغيره وستعمى عليك الأنباء حينئذ وستذهب الحجج الباطلة . فما عساك أن تقول إن قال لك ﷺ أمرك رسولي بطمس الصور ونهاك عن التصوير وأخبرك بلعنتي للمصور وأنت لم تجبه ولم تأتمر بل صورت ما لا تحصيه من الصور ولم تنته فما ذا أجبتم المرسلين ؟ فهل تظن عندها يا قليل التذكر أنك ستقول أنت لم تحرم علينا إلا ما كان باليد ولم يحرم علينا رسولك التصوير بالكاميرات والجوالات ، أو أنك ستقول له هذا حبس ظل ، أو أنك ستقول هذه من زينة الله التي أخرجتها لنا ، أو ستقول أجازها لي الشيخ الفلاني وتقدمه على رسولك، أو ستقول أمرني بها ولي أمري وأطعنا سادتنا وكبراءنا ، أم ماذا عساك أن تجيب به وماذا سيكون جوابك له وأنت موقوف بين يديه وهو يخاطبك بلا ترجمان ولا واسطة ؟ ألا فأعد لكل فعل تفعله وقولاً تقوله حجة بين يدي ربك ! وأعدّ للسؤال جواباً وللجواب صواباً .

الفصل السابع عشر : عبادة الله في مواضع الشرك ومظانه

م (١) : تحريم عبادة الله في أماكن الشرك ومظانه:

جاء النهي عن الذبح في الأماكن التي يذبح فيها لغير الله تعالى، أو مظنة لأن يكون الذبح والعبادة لغيره كالذبح لله عند القبور والصلاة عندها .

ومثل ذلك النهي عن الصلاة في المقبرة وإلى القبر، حتى لا يكون ذلك وسيلة لعبادة القبر والصلاة له، كما نُهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها وزوالها حتى لا يتشبه المسلم بعبادها وسدا لذريعة عبادتها.

ومثل ذلك دخول الأماكن التي يقام فيها الأعياد الوثنية والشرك والمنكرات.

م (٢) : أمثلة للمسألة:

١- عبادة الله بالصلاة والذبح وغيرها في معابد الوثنيين .

٢- عبادة الله في المقابر.

٣- الصلاة إلى صورة وتمثال والسجود بين يدي الرجل .

٤- الصلاة في الكنائس .

٥- تتبع آثار الأنبياء والصالحين وتقصد مواضع معينة بعبادة الله فيها، كحراء وأحد والمساجد السبعة والطور ، ومن هذا الباب قطع عمر شجرة بيعة الرضوان.

٦- عبادة الله في الأوقات التي يعبد فيها المشركون أوثانهم كالصلاة عند طلوع الشمس وغروبها.

٧- الصلاة إلى النار وإلى حجر وعمود إلا إذا تجانب عنه والصلاة إلى صورة والصلاة إلى وجه إنسان لما في ذلك من ذرائع الشرك .

م (٣) : أدلة تحريم عبادة الله في أماكن الشرك ومظانه:

١- قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة: ١٠٨.

والآية نزلت في مسجد الضرار وقصته: أن أبا عامر الفاسق كان راهبا مطاعا في الجاهلية فلما هاجر النبي ﷺ للمدينة كفر به فسماه الفاسق، ثم ذهب للشام يؤلب الروم عليه وكتب لبعض قومه المنافقين أن يبنوا مسجدا ليتم لهم الاجتماع فيه بقصد تفريق المؤمنين وحرب الدين وليكون مأوى لكل عدو ماكر، وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه وكان على سفر لتبوك ووعدهم إذا رجع إلا أن الوحي نزل فيه فأمر بهدمه.

٢- عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود.

٣- عن عائشة أن أم سلمة ذكرت للنبي ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ومافيها من الصور، فقال:(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله) متفق عليه.

٤- قالت عائشة: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال:(لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. متفق عليه. وعن أبي هريرة:(قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

٥- عن جندب البجلي قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم.

٦- عن ابن مسعود مرفوعا:(إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد) رواه البخاري معلقا وأحمد بسند جيد.

٧- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود.

٨- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أحمد وغيره بسند صحيح.

٩- قال ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . رواه أحمد وأصحاب السنن.

١٠- عن أبي مرثد الغنوي أن النبي ﷺ قال: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم .

١١- قال ﷺ: (لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر) رواه الطبراني.

١٢- عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال : (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام) رواه أحمد وأصحاب السنن ، أعله الترمذي وصححه ابن حزم.

١٣- قال عبدالله بن عمرو: نهى ﷺ عن الصلاة في المقبرة . رواه ابن حبان.

١٤- عن أنس : (أن النبي ﷺ نهى أن يصلى بين القبور) .

١٥- لما رأى عمر أنساً يصلي عند قبر قال منكرا:القبر القبر. رواه البخاري.

م (٤) : علة تحريم عبادة الله في أماكن يعبد فيها غيره أو في المقابر :

١- أن في ذلك أعظم ذريعة لوقوع الشرك .

فمن رأى من يذبح ويصلي في المواضع الشركية أو المقبرة ، فقد يظن الجاهل أن الذبح والصلاة للوثن وللقبر أو أنها للموضع طلبا للبركة.

٢- التشبه بالمشركين.

٣- تعظيم غير الله من المخلوقات من البقاع والأماكن والأموات.

٤- معاندة الله بتعظيم ما نهي عنه ومضاهاة شرعه بتعظيم ما لم يعظم الله .

٥- إحياء سنن الجاهلية ولذا قال ﷺ له:(في قلبك من الجاهلية شيء) البيهقي.

م(٥):حرمة دخول أماكن الشرك والمنكرات والمحل الذي نزل فيه غضب الله.

مثل أماكن المعذبين كديار ثمود .

وأيضا المجالس التي يظهر فيها الاستهزاء بالله وآياته.

ودور الربا وبيوت البغايا والدعارة ومحلات الفجور والغناء والسينما ومجامع السحرة والكهان والمنجمين والمحافل البدعية والمهرجانات الوثنية وأعياد المشركين.

والبرلمانات والمجالس التشريعية التي يكفر فيها بالله .

يدل لذلك الأصل قوله تعالى: ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ النساء: ١٤٠ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ الأنعام: ٦٨.

ومن هذا الباب أيضا : قول النبي ﷺ: (هذا مكان حضرنا فيه الشيطان) فلما تجاوزه صلى . رواه مسلم.

ونهى النبي ﷺ عن دخول مدائن صالح بقوله: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا إن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم ما أصابهم). متفق عليه.

م (٦) : حالات العبادة في المواضع الشركية:

١- يتعبد الله في الموضع قصدا له بعينه ، فيعتقد في هذا الموطن البركة أو أنه أقرب وأحب إلى الله ، وهذا يحرم ويعتبر من الشرك الأصغر.

٢- أن يعبد الله فيها وفاقا من غير قصد، وهذه الحالة تحرم وإن كانت أقل درجة من السابقة في الخطورة والإثم.

م (٧) : أقسام الأماكن المقصودة بالعبادة :

١- أن يعبد الله في مواطن الشرك ومعابد الوثنيين .

٢- ما كان فيه مظنة لعبادة غير الله ويخشى أن يعظم إذا عبد فيه ، كالمقبرة.

م (٨) : طرق تعظيم المواضع :

الطريق الأول : الوثن .

أن يكون مقرا للشرك وموضعا للمعبودات أو ما هو مظنة للشرك كالقبور.

الطريق الثاني : العيد .

أن يكون الموضع معظماً ويعتقد فيه البركة فيعتاد قصده وزيارته.

وهذان الطريقان هما مقاصد الباب الذي منه نهي عن الذبح والصلاة كما في حديث النحر في بوانة وأحاديث النهي عن الصلاة في المقبرة.

وهذا سر لطيف في ذكر النبي ﷺ الوثن والعيد ووجه الفرق بينهما.

م (٩): بقاء حكم تحريم النسك في مواطن الشرك (وثن،عيد) ولو بعد زوالها.

م (١٠) : تنبيه : علة النهي عن الصلاة في المقبرة :

لكون الصلاة فيها مظنة لعبادة غير الله وذريعة لوقوع الشرك فيها ، وليس لأجل أنها نجسة كما قال بعض الفقهاء.

م (١١) : علة عدم إبراز قبر النبي ﷺ :

لكي لا يتخذ قبره مسجدا وعيدا كما كانت تفعل اليهود والنصارى من اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وقد جاء التنصيص على هذه العلة في قول عائشة : (يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا) .

م (١٢) : كل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، وكل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا).

م (١٣) : الجاهلية نوعان : زمانية وحالية .

م (١٤) : تحريم الوفاء بالنذر في مواطن الشرك:

إذا كان في البقعة شرك ومحل لوثن أو عيد واعتباره نذر معصية ، بنص الحديث (لا وفاء في نذر معصية).

م (١٥) : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم وأوثانهم، ولو لم يقصده.

معنى العيد وضابطه سيأتي في مبحث الأعياد .

م (١٦) : الرافضة أول من أحدث الشرك وعبادة القبور وبنى عليها المساجد.

م (١٧) : فائدة : لمح النبي ﷺ في خطبته قبل موته لفرقتين:

في حديثه يتبين الرد على الطائفتين الرافضة المبغضين لأبي بكر والصحابة والواقعين في الشرك والجهمية المعطلين للصفات ومنها المحبة والخلة.

م (١٨) : درجات الصلاة في المقبرة وعند القبر :

١- إن قصد القبر بالعبادة فهذا شرك أكبر .

٢- إن قصد الله بالعبادة لكن ظن أن المقبرة مباركة والأجر فيها أعظم.

فهذا شرك أصغر وبدعة منكرة محرمة.

٣- إن صلى في القبر وفاقا من غير قصد ، ففعله مكروه وصلاته باطلة.

م (١٩) : بطلان الصلاة في المقبرة :

من صلى الفريضة في المقبرة فصلاته فيها باطلة وتجب عليه إعادتها ، لأنه جاء النهي عن الصلاة في المقابر والنهي يقتضي الفساد .

م (٢٠) : تسمية القبر وثناً وطاغوتا :

القبر إذا عُبد سمي وثناً بنص الحديث ويعتبر طاغوتا ، أما صاحبه الميت فيه إن كان صالحا فلا يسمى طاغوتا كما سميت صنم اللات طاغوتا دون الذي نسبت له الرجل الصالح .

م (٢١) : تنبيه : كل الأحاديث المتعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ باطلة ولا تصح .

وقد فند ردها ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي .

م (٢٢) : حكم الصلاة في الكنائس ودخولها :

الأصل في دخول معابدهم المنع إلا بشرطين: الحاجة وخلوها من المحذور .

ويدل لذلك قول عمر ﷺ : (لا تدخلوا على المشركين في معابدهم فإن السخطة تنزل عليهم) رواه البيهقي . وقد صلى عمر ﷺ في كنيسة بيت المقدس.

وذهب بعض أهل العلم من الشافعية وغيرهم إلى تحريم دخولها مطلقا.

م (٢٣) : يدخل في هذا الباب النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها:

لأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان فيسجد لها الكفار فنهانا الرسول ﷺ عن الصلاة في هذا الوقت كما روى مسلم ، وذلك قطعا لمادة التشبه بالكفار وعباد الشمس، ولسد باب الشرك حيث قد يظن الجهال أن الصلاة للشمس .

م (٢٤) : تعلق أبواب (الغلو، المواضع الشركية، القبور) بموضوع التبرك:

التبرك بما لم يشرعه الله : كالتبرك بالأحجار والأشجار والمواضع وآثار الصالحين وتراب الحرم، والآثار والأماكن التي مر عليها الرسول ﷺ .

الفصل الثامن عشر: حكم رعاية الآثار وتعظيمها

الآثار: المقصود بها مخلفات الأمم السابقة والمواقع التي تعلق بها تواريخ قديمة كالبنايات والجبال والقبور.

ورعايتها تعني الاهتمام والعناية بها ولفت الناس لها وجعلها مزارا.

وهذه دعوة إلحادية جديدة، مصدرها الوثنية بثوب جديد، وهدفها إحياء الشرك وتقديس الوثنية ونشرها، فأقاموا المتاحف لحفظ هذه الخرافات والشركيات.

وإذا كان الرسول ﷺ كسّر الأصنام وأمر بإتلافها وحرم بيعها كما في الحديث المتفق عليه، فإن هؤلاء ينهون عن ذلك ويجرّمون من يفعله، وما فعله عباد الأصنام في زماننا من أدعياء الإسلام من أذناب الغرب الوثني حين قامت طالبان بهدم أوثان بوذا بأفغانستان عنا ببعيد، حتى أرسلوا لجنة تضم من علماء المسلمين لثنيهم عن هدمها فأي جهل بالتوحيد بعد هذا وأي كفر بملة إبراهيم الهادم للأصنام فوق هذا، وإن من أعظم أهداف هذه الدعوة الجاهلية نشر الشرك والخرافات، وتمزيق وحدة المسلمين وهدم باب الولاء والبراء وإحياء القوميات والدعوات الشركية الجاهلية.

ونهى النبي ﷺ عن دخول مدائن صالح في الحجر:

وقال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا إن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم ما أصابهم) ثم زجر فأسرع حتى خلفها. متفق عليه.

ومن نظر في حال دعاة القبورية الجدد في بلاد التوحيد مع مدائن صالح وغار حراء ومطالباهم الخثيثة بإحيائها وجلب السياحة الشركية لها، عرف ما يحيكه لنا أعداء الإسلام وشدة مكرهم وخفاء حيلهم ودسهم للإسلام وأهله وعدم فتورهم.

مبحث : ما فعله الصحابة بعد موت الرسول ﷺ من سد ذرائع الشرك وإغلاق أبوابه وقطع السبل المفضية إليه في باب المواضع الشركية :

١- ما فعله الفاروق عمر ﷺ من قطع الشجرة التي حصلت بيعة الرضوان عندها لما رأى بعض المسلمين يتعمد قصدها والذهاب لها .

وقد أخرج فعله هذا سعيد بن منصور في سننه وابن سعد في الطبقات.

٢- دفنه ﷺ للجذع الذي كان يخطب الرسول ﷺ عنده.

٣- نهيه ﷺ عن تتبع آثار الرسول ﷺ .ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وغيره عن عمر ﷺ قال: (إنما أهلك من كان قبلكم إتخاذهم آثار أنبيائهم بيعا).

٤- ما أفتى به ابن عمر قزعة بن يحيى لما أراد الذهاب للطور فقال لـه لا تـشد الرحال إلا لثلاثة مساجد دع عنك الطور لا تأته) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات.

٥- إنكار أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة لما زار الطور فقال لـه: لا تـشد الرحال الحديث، ولم يكن الحديث قد بلغ أبا هريرة ثم رواه بعد ذلك عنه وأقر به . روى فعل أبي بصرة أحمد والبزار والطبراني .

٤- إخفاء الصحابة ﷺ لقبر دانيال في عهد عمر لما فتحوا تستر. أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن أبي العالية، وذكر الخبر ابن كثير في تاريخه ٢/ ٤٠.

قال ابن القيم : (ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله) . إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٢.

٥- إنكار الحسن بن الحسن وعلي بن الحسين أبناء علي بن أبي طالب على الرجل الذي زار قبر الرسول ﷺ.

فعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم). رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري في تاريخه والضياء المقدسي في المختارة وغيرهم.

وروى سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي سهيل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال: هلم إلى العشاء ، فقلت: لا أريده ، فقال: ما لي رأيتك عند القبر ، فقلت: سلمت على النبي ﷺ ، فقال : إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولاتتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ما أنت ومن بالأندلس إلا سواءٌ .

٦- عدم إظهار التابعين لقبور الصحابة وهي متفرقة في البلدان أيام الفتوحات، وإن جهلنا بقبورهم أعظم دليل على عدم التفات المسلمين من السلف لقبور الصالحين. وأن وضع القباب والمشاهد والبناء والكتابة عليها ورفعها ليس إلا من دين القبورية المشركين من الصوفية والروافض بعد القرون المفضلة.

٧- إنكار الإمام مالك رحمه الله على من يزور البيوت والمساجد النبوية ويتبرك بآثار النبي ﷺ.وقد ثبت تركه التحديث عن عطاء الخرساني لما كان يمسك بالمنبر الذي كان يخطب عليه الرسول ﷺ وذلك قبل إزالته كما ذكر ذلك القاضي عياض في الشفاء وغيره ، وكذلك أنكر الإمام أحمد هذا الفعل، مما يدل على أن الأمر كان مسلما عند الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأنهم كانوا ينكرون على من يظهر مثل هذه الأفعال لجهل أو تأويل.

وكان الإمام مالك من أشد العلماء نهيا عن الوقوف عند قبر الرسول ﷺ ومثله الإمام أحمد كما هو مروي عنهم .

تنبيه : إذا كان الوثن أو الشيء المتبرك به شجرة سدر :

فتقطع ولا تدخل في النهي عن قطع السدر ولعن قاطعها ، على أن الأحاديث في النهي عن قطع السدر لا يصح فيها شي.

مبحث : الرد على من استنكر هدم الآثار النبوية وإزالتها وادّعى أن الصحابة كانوا يزورون البيوت والمساجد ويتبركون بآثار النبي ﷺ.

و يجاب عن هذا بما يلي :

١- هذا من الكذب على الصحابة رضوان الله عليهم حيث عملوا على إخفاء كل ما فيه ذريعة لشرك وسدوا باب كل وسيلة مفضية إليه ومن ذلك إزالتهم الشجرة التي حصلت بيعة الرضوان عندها وكذا الجذع الذي كان يخطب الرسول ﷺ عنده كذلك نهيهم عن هذا . ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق وغيره من قول عمر ﷺ: (إنما أهلك من كان قبلكم اتخاذهم آثار أنبيائهم بيعا).

٢- أن التبرك بالرسول ﷺ أمر ثابت ولكن بشعره وعرقه وريقه ونحو ذلك، أما أنهم كان يتبركون بالجلوس في أماكن جلوسه ويتمرغون بالتراب الذي يمر عليه ويتمسحون بالفرش التي يجلس عليها أو يزورون البيوت التي دخلها أو الأماكن التي صلى بها كما هو فعل هؤلاء فإن هذا كله لم يحصل منهم وهو من الافتراء عليهم، كما أنه لم يثبت سنية الصلاة في مسجد غير الثلاثة ومسجد قباء ومن زعم غير ذلك فعليه بالدليل وأنّى لهم ذلك .

٣- أن ما ثبت من فعل ابن عمر حيث كان يتحرى الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ فإذا صادفت طريقه مر بها لا أنه يتعمد الذهاب لها استقلالا، ومع هذا أنكر عليه والده عمر ونهاه عن هذا الفعل بمشهد من الصحابة . وعمر أفقه من ابنه وقد أُمرنا بالاستنان بهدي عمر فهو الملهم وصاحب السنة المتبعة .

٤- ما ثبت من إنكار السلف لهذا الفعل ومن ذلك إنكار الإمام مالك لمن يفعل ذلك بل قد ثبت تركه التحديث عن عطاء الخرساني لما كان يمسك بالمنبر الذي كان يخطب عليه الرسول ﷺ وذلك قبل إزالته كما ذكر ذلك عنه القاضي عياض في الشفاء وغيره ، وكذلك أنكر الإمام أحمد هذا الفعل مما يدل على أن الأمر كان مسلما عند الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأنهم كانوا ينكرون على من يظهر مثل هذه الأفعال لجهل أو تأويل.

٥- ثم مع هذا كله لم يعد هناك شيء ثابت من عهد الرسول ﷺ بل كله ذهب وفني وتحول ولم يعد يعرف شيء منه، وبذلك ينقطع دابر عباد الأحجار والأشجار والمتمرغين على التراب من الرافضة والصوفية ورثة المجوس.

إذا تقرر ذلك فأي الفريقين أحق بالاتباع الصوفية ومن أراد مماشاتهم وإرضاءهم ومتابعتهم في بدعهم ومن هو على شاكلتهم أو الخليفة الراشد عمر ومن معه من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة.

مبحث: الرد على من جوز السفر إلى القبور وشد الرحال إليها :

زعم البعض أن حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن النبي ﷺ قال : **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)** متفق عليه . لا يفهم منه تحريم السفر لزيارة القبور.

وقالوا : أول من فهم ذلك من الحديث هو ابن تيمية.

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه :

١- أن تحريم شد الرحال للقبور والاستدلال عليه بالحديث السابق ليس من ابتداع ابن تيمية ولا أنه أول من فهم هذا الفهم من الحديث كما زعم البعض بل هو فهم السلف وهو الذي كان عليه عمل الصحابة ومما يدل لذلك: ما أفتى به ابن عمر قزعة بن يحيى لما أراد الذهاب للطور قال :(لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد دع عنك الطور لا تأته) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات. كذلك ما رواه أحمد والبزار والطبراني من إنكار أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة لما زار الطور فقال له: لا تشد الرحال الحديث، ولم يكن الحديث قد بلغ أبا هريرة ثم رواه بعد ذلك عنه وأقر به . كذلك أيضا إخفاء الصحابة لقبر دانيال في عهد عمر، وكذلك عدم إظهار التابعين لقبور الصحابة المتفرقة في البلدان أيام الفتوحات.

٢- أن مالك من أشد العلماء نهيا عن هذا ومثله أحمد كما هو مروي عنهم .

٣- أن علماء بغداد أيدوا فتوى ابن تيمية وأرسلوا للسلطان الناصر قلوون بأن ما قاله في تحريم شد الرحال للقبور هو الحق الذي لاشك فيه كما في الفتاوى .

٤- أن مما يؤكد تحريم السفر للقبور أن الاستثناء في الحديث مفرغ، بدأ بنفي وحذف المستثنى منه وهذا من صيغ العموم فالرحال لا تشد لا لمسجد ولا لغيره من

البقاع ، ولم تخص المساجد في النهي عن الشد فلم يقل: (لا تشد الرحال لمساجد إلا لثلاثة) كما هو فهمهم الذي خالفوا به فهم الصحابة لا فهم ابن تيمية وحده.

٥- وأما دعواهم أن الرسول ﷺ قد زار قبر أمه فهذا تدليس منهم وتعامي عن الحق وتقليد للغير، ذلك أن الكلام عن شد الرحال والسفر للقبور وليس زيارتها، ومن المعلوم أن الرسول ﷺ لم يسافر لقبر أمه وإنما مر عليه وهو في طريقه في السفر فزيارة قبرها كان منه تبعا لا استقلالا .

٦- أما معارضة الحديث بالسفر لطلب العلم وصلة الرحم فإن هذا لاوجه له لأن الكلام يدور حول زيارة البقاع والأراضي والأماكن التي يحصل الغلو عندها.

شبهات في الباب:

١- الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف: ٢١.

الجواب: الذين بنوا المسجد لم يذكروا من باب الإقرار لفعلهم ولا المدح لهم بل أخبر الله تعالى عن فعلهم القبيح الغير موافق لدين الله ، ويصدق ذلك ما أخبر به النبي ﷺ عنهم من أنهم يبنون على القبور ويتخذون على قبور أنبيائهم مساجد ، وليس هذا من شرع من قبلنا كما توهم البعض. يدل لذلك ما جاء في الصحيحين:

قال ﷺ:(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله) .

وقال ﷺ :(لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

٢- أن مسجد الخيف بمنى بني على قبر سبعين نبيا :

الصحيح الذي روي عن ابن عمر وأبي هريرة أنه صلى فيه سبعون لا أنه قبروا فيه وكيف جاز أن تداس قبورهم لو صح ذلك ، ثم إنه لم يثبت أن أحدا من الأنبياء عاش ومات بمكة غير إسماعيل .

أما أثر ابن عباس عند الدارقطني في أن الملائكة دفنت آدم في مسجد الخيف فباطل سندا ومتنا ، ففي سنده عبدالرحمن بن مالك متروك كما قال الدارقطني، ومنهج الدارقطني كما هو معروف عند المحدثين أنه لا يورد كثيرا من الأحاديث للاحتجاج بها كما فهم الجهال وإنما لبيان علتها ومنها هذا الحديث ، كما أن فيه ابن هرمز وهو ضعيف. وهو مع هذا مخالف للصحاح من لعنة فاعل ذلك .أيضا فلم يكن هناك مسجد في منى وإنما بني بعد ذلك بأزمان بعد ذهاب المعالم والتقادم .

٣- بناء المسجد النبوي على قبور المشركين بعد نبشها :

الجواب: أن هذا دليل على أصل المسألة فالنبي ﷺ لم يبن مسجده إلا بعد أن نبشت القبور فلم يبن المسجد عليها مع أنها قبور محتقرة وغير معظمة.

٤- أمر النبي ﷺ أن يبنى مسجد الطائف مكان طاغوت اللات .

الجواب: أن هناك فرق بين المقصدين ، فبناء المسجد مكان الشرك القصد منه لإزالة أثره وصورته من الموضع ليزول تعلقه من النفوس ، أما من يبني مسجداً أو يتعبد في معابد الوثنيين مع بقاء معبوداتهم أو قبورهم أو آثار شركهم فهذا هو المحذور ولو لم يقصد العابد هذه الأوثان وكذا لو زالت آثارها مع بقاء ذكراها وأطلالها لم تغير فالنهي يبقى على أصله سدا لذريعة الشرك.

٥- المسجد النبوي فيه قبر الرسول ﷺ :

الجواب : أن مسجد النبي ﷺ بني قبل وجود القبر ، والقبر بعد ذلك كان خارج المسجد في بيته ، ثم أدخل الوليد بن عبد الملك لا جزاه الله خيرا في توسعة المسجد دون إقرار أهل العلم بل ثبت إنكار سعيد بن المسيب له وأبان وغيرهم والواجب إرجاع بناء المسجد من جهة القبر كما كان زمن الصحابة .

٦- صلاة الصحابة في الكنيسة ودخولهم معابد أهل الكتاب.

هذا الفعل يجوز من باب الحاجة بشرط خلوها من المحاذير .

قال البخاري : (كان ابن عباس يصلي في بيعة إلا بيعة فيها تماثيل).

قال عمر لما دعاه النصارى للطعام في الكنيسة:(لاندخل كنائسكم من الصور التي فيها) رواه عبد الرزاق. وقال لعلي:(امض بالناس فليتغدوا ودخلوا الكنيسة).

والأصل في دخول معابدهم المنع إلا بشرطين: الحاجة وخلوها من المحذور .

ويدل لذلك قول عمر ﷺ : (لا تدخلوا على المشركين في معابدهم فإن السخطة تنزل عليهم) رواه البيهقي .

وذهب بعض أهل العلم من الشافعية وغيرهم إلى تحريم دخولها مطلقا.

الفصل التاسع عشر : بدع القبور المحرمة

١- اتخاذ القبور مساجد:

ذكرت الأدلة الناهية عنها في باب عبادة الله في المواضع الشركية.

منها:(لعنة الله على اليهود والنصارى،اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أخرجاه.

٢- الصلاة في المقبرة والصلاة إلى قبر:

والنهي عام يشمل إن قصد المصلي البركة أولم يقصد ، وإن قصد البركة فهو أشنع وهي عين المحادة لله ورسوله ومخالفة دينه، وقد ذكرت بضعة عشر دليلا،منها:

قال النبي ﷺ: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم .

٣- الدعاء عند القبور وعبادة الله عندها أو التبرك بها:

ويدل لذلك الأحاديث الواردة في المسألة الأولى ومنها :

قوله ﷺ: (لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر) رواه الطبراني.

٤- اتخاذ القبور أعياداً ، وخصوصاً قبر النبي ﷺ:

قال الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه مالك وغيره مرسلا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار. ورواه البزار في مسنده موصولا عن أبي سعيد الخدري بسند صحيح.

وله شاهد عند أحمد وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

وقال النبي ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أحمد .

٥- البناء على القبور ورفعها:

والنهي عن هذه البدعة المنكرة يشمل : بناء المسجد عليها، رفعها، والزيادة على ترابها، أو تجصيصها، أو وضع القباب عليها ، وكل هذا داخل في البناء عليها:

عن جابر قال ﷺ : (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) رواه مسلم . وزاد أبو داود: (أو يكتب عليها) .

٦- ترك هدم القباب والمشاهد والمساجد المبنية على القبور، والقبور المشرفة المرتفعة عن الأرض، وهذا الترك محرما فكيف بمن يفعل هذه القباب والتشييد.

قال علي لأبي الهياج الأسدي : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) رواه مسلم .

٧- السفر للقبور وشد الرحال إليها وإعمال المطي فيها.

قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) متفق عليه .

وقد استدلوا به على تحريم السفر للقبور .

وقال النبي ﷺ : (لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد) رواه مالك والنسائي.

وقال : (لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة) الحديث رواه أحمد.

كما أنكر أبو بصرة على أبي هريرة زيارته جبل الطور بهذا الحديث ، رواه أحمد والبزار والطبراني .

٨- الكتابة عليها :

روى أبو داود: (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر أو يكتب عليها) .

٩- إسراج القبور وتنويرها :

قال ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . رواه أحمد وأصحاب السنن.

والعلة من تحريم البناء على القبور وإسراجها حتى لا تعظم ثم تعبد.

١٠- زيارة النساء للقبور:

قال ابن عباس كما في المسند والسنن: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور).

فائدة: العلة من تحريم زيارة النساء للقبور :

قيل لضعفهن وجزعهن وعدم صبرهن .

والأظهر عندي والله أعلم أنه لتعظيم النساء المشاهد والقبور وسرعة الشرك في النساء ومما يدل لذلك ما جاء في الصحيحين من قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة) ، ومن شاهد نساء الروافض والصوفية رأى ذلك جلياً مما يؤكد شدة تعلقهن بالقبور.

تنبيه: مسألة الصلاة في القبور واتخاذها مساجد وما يتعلق بها من مسائل، منها:

أدلة تحريم الصلاة في المقابر وبناء المساجد عليها علة النهي عن الصلاة في المقبرة ، علة عدم إبراز قبر النبي ﷺ ، تسمية القبر وثناً وطاغوتا إذا عُبد، وأن كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، درجات الصلاة في المقبرة ، وبطلان الصلاة فيها وبطلان الأحاديث المتعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ، والشبهات المتعلقة بالمسألة .

كل ذلك تقدم بيانه.

المبحث الثاني : القبورية وشرك القبور

وقد أفردتها برسالة مستقلة .

الفصل العشرون : الأعياد

م (١) : تعريفه :

قال ابن تيمية في الاقتضاء : العيد اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك .

م (٢) : العيد يجمع أموراً وضوابطا:

١- يوم عائد . ٢- واجتماع فيه . ٣- أعمال تتبع من العادات والعبادات .

م (٣) : ينقسم العيد إلى :

١- زماني كعيد المولد والوطني.

٢- مكاني كاتخاذ بعض القبور عيدا وتعظيم الأوطان والأمكنة.

م (٤) : دخول العيد في الشرع والدين والعبادة :

العيد من الشرع والدين الذي شرعه الله وأمر به ومن خصائص العبادات، ولا يجوز تشريع الأعياد وابتداعها وذلك من تشريع دين لم يأذن به الله .

م (٥) : المخالفة في الأعياد يكون على ثلاثة أوجه:

١- ابتداع عيد لم يشرعه الله وتشريعه للناس .

٢- مشاركة الكفار في أعيادهم :

وذلك بحضورها والأكل معهم فيها وتهنئتهم بها وتعطيل الأيام من العمل فيها واللعب فيها والهدايا لهم وقبولها منهم وإعانتهم على إقامتها وإظهار الفرح .

٣- ابتداع أعمال غير مشروعة في الأعياد الشرعية .

م (٦) : من مفاسد الأعياد المبتدعة :

١- أنها من التشريع الشركي فهي داخلة في عموم الشرك .

٢- فيها مضاهاة الأعياد الشرعية التي أمر الله بها ومحادة الله ورسوله ومناقضة شرعه.

٣- صد الناس عن شعائر دينهم والقيام بما يجب في الأعياد وتعطيل ما شرعت له.

٤- التشبه بالكفار.

٥- إماتة السنن وإحياء البدع.

م (٧) : أمثلة لأعياد بدعية :

عيد الميلاد، النيروز، المهرجانات، رأس السنة، الأولمبيات، عيد الحب، والأم، والأيام الدولية: كيوم الصحة والطفل والتعليم وأسبوع الشجرة والمرور وهكذا .

إحياء المولد النبوي والهجرة والإسراء .

الأعياد الوطنية وأيام الثورة والاستقلال والاعتلاء على الحكم وغيرها.

وهي محرمة سواء سميت بالعيد أو اليوم أو الاحتفال أو الفرح أو غير ذلك .

الفصل الحادي والعشرون : سب أفعال الرب ﷻ الدهر والريح

م (١) : تعريف الدهر وسبه :

هو الزمان الذي هو الساعات والأيام والليالي والشهور والسنين.

والدهر ليس من أسماء الله ﷻ كما توهم البعض.

ومعنى أنا الدهر أي مالكه ومدبره كما فسره بتقليب الليل والنهار وتصريفها .

والسب هو الذم والشتم والقدح واللمز.

وله أمثلة لا تكاد تحصر على ألسنة العوام والشعراء الذين يندبون زمانهم.

فيقولون : زمن غدّار ودهر أقشر وزمن أسود وسنة سوء وساعة شر.

والحق أن يقال فيهم: نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا.

م (٢) : علاقته بالتوحيد : تحريم سب الدهر والريح لأنه سب لفاعلها وهو الرب ﷻ . ويعتبر هذا الباب من الأبواب المتعلقة بالتأدب مع الله ﷻ وتعظيمه والوسائل التي تحفظ جناب التوحيد وتسد ذرائع الشرك وتغلق أبوابه.

م (٣) : العلل من تحريم سب الدهر والريح :

١- أن في السب قدحاً في باب التوحيد من عدة أوجه :

٢- عدم الرضا بالله وبأفعاله وأقداره .

٣- عدم تعظيم الله تعالى والقدح في أفعاله وتنقص تصرفاته .

٤- فيه إيهام بنسبة الحوادث للخلق وتأثيرهم من دون الله.

م (٤) : علة النهي عن سب الدهر والريح وعموم أفعال الله:

١- أن في سبه سباً لمصرفه وخالقه وفاعله المدبر له .

٢- كذلك يوهم ما تعتقده الدهرية من نسبة التدبير إلى غير الله، وأنه الفاعل والمؤثر، ومثله سب الريح ففيه سب لخالقها ومرسلها .

٣- أيضا فيه تسخط على أقدار الله وأفعاله وربوبيته .

وهذه الأمور تدخل في الشرك الأصغر .

م (٥) : سب الدهر يتعلق بالقدح في توحيد الربوبية والألوهية:

أولاً : وجه دخوله في الشرك في الربوبية : إذا اعتقد أن للدهر تأثيراً وتدبيراً فيه، وأنه الفاعل والمؤثر، ومثله اعتقاد أن الريح مدبرة وتؤثر من دون الله تعالى .

ثانياً: وجه دخوله في شرك الألوهية:التسخط على أقدار الله وعدم الرضا بالله.

م (٦) : السب يقع على أحد ثلاثة أوجه :

١- أنه ظرف الأقدار المكروهة التي حصلت فيه، فهذا محرم للعلل الثلاث.

٢- السب على أن له دخلاً وسبباً وأثراً ، وهذا شرك ويدخل في النوعين :

فإن اعتقد السببية فشرك أصغر وإن اعتقد الاستقلال في التأثير فشرك أكبر.

٣- إخبار محض ووصف لا يقصد منه السب وهذا لا يدخل في المنهي .

كمثل ﴿ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ فصلت: ١٦ ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ القمر: ٨ ﴿ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ يوسف: ٤٨ ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ القمر: ١٩ ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ هود: ٧٧ ونحو ذلك.

م (٧) : مفاسد السب :

١- سب من ليس أهلاً للسب ومن هو خلق مسخر منقاد لأمر الله.

٢- السب متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع.

٣- السب إنما يقع على من فعل هذه الأفعال. استنبط ذلك ابن القيم .

م (٨) : دليل النهي عن سب الدهر :

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ الجاثية: ٢٤ .

قال النبي ﷺ : (قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار) رواه البخاري. وفي مسلم: (لا تسبوا الدهر،فإن الله هو الدهر) .

ودليل النهي عن سب الريح :

عن أبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تسبوا الريح) صححه الترمذي.

وقال ﷺ : (لا تلعنوا الريح ، فإنها مأمورة ، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) رواه أبو داود والترمذي.

تنبيه : معنى الروح والنفس : هو من باب التنفيس والتفريج .

قال ﷺ : (الريح من روح الله) رواه أحمد وأبو داود.

وقال ﷺ (لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن) أخرجه الحاكم .

تنبيه: ما يقال عند هبوب الريح ورؤية ما يكره منها :

عن أبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به) صححه الترمذي.

وعند الحاكم والطبراني من دعاء النبي ﷺ : (اللهم لقاحا لا عقيما) .

ومنه : (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا) .

م (٩) : فائدة : العبد يؤذي الله ﷻ ولكن لا يبلغ أحدٌ ضر الله :

لكن الأذية لا تبلغ إلى الضرر ، وهناك فرق بينهما.

فالله تعالى يؤذيه المخلوق ولا يضره. والأذى ما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه . فالأذية من الخلق للرب نثبتها في حق الله ﷻ كما أخبر تعالى عن نفسه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ الأحزاب: ٥٧ .

وفي الحديث الصحيح : (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر) رواه البخاري.

قال تعالى في سورتي آل عمران والقتال : ﴿ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ .

وفي الحديث يقول الله : (يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني) .

وقال تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ آل عمران: ١١١ .

وفيما يؤثر عن النبيﷺ (القر بؤس والحر أذى) .

وجه الأذية لأن السب يقع على الله وأفعاله ومن صرفه وخلقه وفعله ودبره .

م (١٠) : ساب الدهر والريح ساب لله، ولو لم يقصده السب بقلبه.

فإن قصد السب لله حقيقة كان كفرا محضا .

م (١١) : حكم سب آيات الله ومخلوقاته والاستهزاء بها :

إن قصد بالسب نفس مخلوقات الله وآياته المخلوقة كالريح والشمس فقد وقع في أمر محرم ويدخل في النهي الوارد في الحديث. أما إن قصد بالسب خالقها وفاعلها فهذا كفر محض ، أو سب آيات الله الشرعية فكفر .

ولا يدخل في السب المنهي الاستهزاء بالكفار وآلهتهم وسبهم فهذا مشروع.

م (١٢) : المقصود في الآية المتعلقة بسب الدهر ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ طائفتان :

مشركو العرب : الذين ينكرون البعث ، ويزعمون أن الدهور وطول السنين هي المهلكة وليس بعد الحياة الدنيا حياة.

الفلاسفة : وهم مذهبان :

الإلهيون الذين يقرون بالخالق لكن ينكرون البعث ويقولون بقدم العالم.

الطبعيون المنكرون الخالق والبعث معا ، ويزعمون أن الطبيعة خلقت نفسها.

تنبيه : البعث دلت عليه أدلة الشرع والعقل والحس.

م (١٣) : تنبيه : يخشى على من يسب الدهر والريح من لعنة الله :

لأنه يؤذي الله والله يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الأحزاب: ٥٧ .

وفي الحديث قال ﷺ : (لا تلعنوا الريح ، فإنها مأمورة ، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) رواه أبو داود والترمذي.

م (١٤) : حقيقة سب الريح :الكلام في سب الريح كالكلام عن سب الدهر .

والريح مأمورة ومن ضعف العقل والحمق سبها . وفي سبها سب لمدبرها .

م (١٥) : سب الريح كفر في حالتين :

إن اعتقد أنها مستقلة في التأثير وليست مدبرة مربوبة.

إن قصد بالسب خالقها ومدبرها ومرسلها فسب الله لذلك.

م(١٦) كراهة الريح لايدخل في النهي للحديث (إذا رأيتم منها ما تكرهون).

تنبيه : الريح فيها خير كسوق المطر واللقاح. وشر كالباردة والجافة والعقيم .

م (١٧) : من هذا الباب النهي عن سب الحمى:

قال ﷺ : (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم) رواه مسلم .

م (١٨): ينبغي التربي والتعود على تطهير اللسان من سيء القول والسباب .

الفصل الثاني والعشرون : الحلف

مقاصد مبحث الحلف: عدم الشرك في الحلف ، والصدق فيه ، والرضا ممن يحلف له وحفظ اليمين وعدم الإكثار منه ، والتأدب مع الله ﷻ وتعظيم الله حال الحلف من الحالف ومن المحلوف له وهذا من الوسائل التي تحفظ جناب التوحيد.

م (١) : تعريف الحلف :

هو: تأكيد الكلام بصيغة الجزم وأداة القسم مقترناً باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته ، وهي الباء والواو والتاء ، وكذا لفظ أحلف وأقسم .

ويسمى : اليمين والقسم والحلف والإيلاء .

واليمين ثلاثة أنواع: منعقدة ، لغو غير مقصوده ، غموس.

م (٢) قاعدة : يجوز الحلف بصفات الله مثل : وعهد الله ، ودين الله .

م(٣) : الحلف بالأمانة : لا يجوز .

جاء في الحديث : (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أحمد وأبو داود.

تنبيه : قول العامة في وجهي وأنا في وجهك وأدخل عليك وأطلبك .

ليس من الحلف وإنما هو من الاستعانة والمحالفة والحماية.

م (٤) : حلف الله بالمخلوقات هذا لله فله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به.

م (٥) : الأدلة على تحريم الحلف بغير الله وبيان أنه من الشرك :

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢.

وفسر ابن عباس الأنداد في الآية: بالحلف بغير الله ونحوه. رواه ابن أبي حاتم.

١- عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم.

٢- قال النبي ﷺ :(ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) رواه البخاري ومسلم .

تنبيه : النهي عن الحلف بالآباء ليس له مفهوم ، فالحلف بغير الله يحرم مطلقا بالآباء أو بغيرهم.

٣- عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت) رواه النسائي وأحمد والحاكم.

٤- عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:(لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق ،ومن حلف له بالله فليرض،ومن لم يرض فليس من الله)رواه ابن ماجه بسند حسن.

م (٦) الجواب عن حديث: (أفلح وأبيه)، وحديث أبي هريرة عند مسلم (نعم وأبيك) فهي لفظة منكرة غير محفوظة ، ثم يقال في الجواب عنها أوجه:

الأول: أن هذه اللفظة ليست للحلف، وإنما تجري على الألسنة من غير قصد القسم ومثلها العبارات التي تجري مجرى الدعاء من غير قصده كثكلتك أمك .

الثاني: أن الواو ليس للحلف وإنما للعطف والمعنى أفلح وأفلح أبيه ، لأن فلاح الابن فلاح لأبيه غالبا .

الثالث : أن هذا الحلف كان منه ﷺ قبل النهي عنه، ويدل لذلك حديث قتيلة السابق، عليه فالحلف بالآباء منسوخ .

م (٧) : أحوال الحلف بغير الله :

١- يكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى، وحصل في قلبه التعظيم وقارنه الذل للمخلوق المحلوف به والمهابة والخوف منه، ويعد هذا الصنيع شركا أكبر لكون الحالف صرف خصيصة من خصائص الألوهية والربوبية للمخلوق ، كما هو حال القبورية الذين جعلوا جهد أيمانهم الحلف بالشيوخ والأولياء، فإذا طلب من أحدهم الحلف بالله وهو كاذب حلف فإذا طلب منه الحلف بالولي والميت توقف خوفا وإجلالا .

٢- يكون شركاً أصغر : وهذا إذا كان مجرد لفظ من غير قصد التعظيم والتذلل كما جرى على ألسنة البعض الحلف بالأمانة والشرف والنبي وحياة الأب .

فكون شرك الألفاظ من الشرك الأصغر مرجعها ومدارها على القصد والاعتقاد .

م (٨) : خطأ بعض الفقهاء في قولهم إنه يطلب من الخصم أن يحلف بغير الله:

وذلك إذا عرف عنه أنه لا يحلف به كاذبا . ومثل ذلك قول بعضهم يطلب من الحالف أن يحلف عند مكان معظم وذكر بعضهم القبر وصخرة بيت المقدس وهذا من الجهل والبعد عن مقاصد الشريعة .

قال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقا. رواه الطبراني والصنعاني وابن أبي شيبة والطبري .

وذلك لأن الحلف بغير الله شرك ، وأما الكذب فهو كبيرة وليس بشرك، والشرك أعظم ذنب عصي الله به ولذلك لا يغفره الله تعالى .

م (٩) : كفارة الحلف بغير الله :

أن يقول الحالف لا إله إلا الله ، ويستغفر ، ويدل لذلك : (من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) ، وفي رواية فليستغفر . متفق عليه

م (١٠) : الوعيد في من لم يقنع بالحلف بالله :

لأن عدم القنوع باليمين فيه عدم تعظيم الله وينافي الأدب معه وكمال توحيده.

ولكن إذا كان الحالف معروفاً بالكذب فلا يشمله الحكم بوجوب الرضا.

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله) . رواه ابن ماجه.

تنبيه: إذا كان الحالف معروفاً بالكذب فلا يشمله الحكم بوجوب الرضا بيمينه ، ويدل لهذا أحاديث منها حديث حويصة ومحيصة وقولهم للرسول ﷺ كيف نرضى يا رسول الله بأيمان اليهود) متفق عليه ، ولم ينكر عليهم .

فائدة : قول عيسى ﷺ في الرجل الذي رآه يسرق فحلف أنه ما سرق : (آمنت بالله وكذبت عيني) متفق عليه .

قيل الرجل لم يسرق في الحقيقة وربما يكون قد أخذ ما له حقٌّ فيه .

والصواب أنه كان سارقا وصدق عيسى يمينه تعظيما ومهابة واحتراما لله ﷻ.

م (١١) : وجوب حفظ اليمين والنهي عن عدمه وعن كثرة الحلف :

والعلة في كل ذلك لما فيه من منافاة تعظيم الله .

قال الله تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٩﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٤﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ القلم: ١٠.

م (١٢) : الحفظ يكون بأمور :

١- الحلف بالله وحده وعدم الحلف بغير الله تعالى .

٢- عدم الحلف بالله أصلا إلا للحاجة .

٣- عدم الإكثار من الحلف .

٤- عدم استعمال الحلف في الأمور الحقيرة والدنيوية .

٥- عدم استعمالها في البيوع ، وهذا محرم ووردت الأحاديث المحرمة له.

٦- الوفاء بما حلف عليه وعدم الحنث إلا للمصلحة.

٧- القيام بالكفارة إن حنث في حلفه .

٨- عدم الكذب ، والكذب في اليمين عمدا يسمى الغموس لأنها تغمس في الإثم والعقوبة ، ويستثنى من حلف كاذبا لدفع ضرر لا يستحقه وهو مكره .

وكل هذه الصور تنافي حفظ اليمين ، وتنافي تعظيم الرب وكمال التوحيد .

م (١٣): يحرم استعمال اليمين في البيوع ، وقد وردت الأحاديث بذلك:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب) متفق عليه.

عن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني بسند صحيح.

م (١٤): لا تطلب اليمين ممن عرف بعدم احترامها والكذب فيها تعظيما لله.

عن ابن مسعود ﷺ قال ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)رواه البخاري.

عن عمران ﷺ : (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون) رواه البخاري.

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

م (١٥) : الكفارة واجبة في اليمين المنعقدة لا أيمان اللغو :

قال تعالى :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٩ .

م (١٦) : يدخل في هذا الباب وجوب إجابة من سأل بالله، وهذا من لوازم تعظيم الله ، ولهذا بحث مستقل في بابه .

الفصل الثالث والعشرون : التسوية اللفظية وشرك الألفاظ

أمثلة المسألة : كقول: ما شاء الله وشئت ، مالي إلا الله وأنت ، توكلت على الله وعليك ، من الله والوقت، أعوذ بالله وبك.

حقيقة قول: (ما شاء الله وشئت) أن فيه قدح في التوحيد وشيء من الشرك ، لما فيها من التعلق بغير الله والتوكل على الخلق ، ونسبة الحوادث للخلق ، ولما فيها من نسبة شيء من التدبير والتأثير لغير الله، وهي داخلة في عموم شرك الأسباب .

م (١) : معنى المشيئة من الفعل شاء يشاء بمعنى أراد.

م (٢) **حقيقة الشرك في قول ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان لصار كذا:**

شرك لأن فيها نسبة شيء من التدبير والتأثير والحوادث لغير الله .

إن اعتقد أنه يساوي الله في التدبير والمشيئة وأن هذه الأمور تؤثر وتدبر فهذا شرك أكبر ، وإن لم يعتقد ذلك واعتقد أن الله وتعالى فوق كل شيء لكن اعتمد على السبب وساواه بالمسبب فهذا شرك أصغر.

تنبيه : هذه اللفظة تقدح في توحيدي الألوهية والربوبية:

شرك ربوبي باعتقاده وجود مدبر مريد مع الله، وألوهية بتوكله على المخلوق.

تنبيه: كره إبراهيم النخعي قول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك.

الاستعاذة كالاستغاثة لا تطلب إلا من الله إلا ما كان تحت قدرة المخلوق.

م (٣) : فعل المشيئة يوصف بها الرب ﷻ والعبد:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

ومشيئة الله أحد مراتب القدر الأربع .

والعبد له مشيئة حقيقية لكنها داخلة تحت مشيئة الله ولا تحصل إلا بقدر الله.

ومشيئة الله تنكرها القدرية وتزعم أن الله لم يقدر ويشأ ويخلق أفعال العباد .

ومشيئة العبد تنكرها الجبرية .

م (٤) : الأدلة المحرمة لقول: ما شاء الله وشئت :

١- عن حذيفة ﷺ عن النبيﷺ قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده) .

وفي رواية (أجعلتني لله عدلا؟ قل ما شاء الله وحده) رواه أحمد .

٣- عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت) رواه النسائي وأحمد والحاكم.

٤- حديث الطفيل الزهراني أخي عائشة لأمها:(فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده) رواه ابن ماجه. وفي الحديث مسائل:

١- معرفة اليهود بالشرك الأصغر، مع مكابرتهم للحق وامتناعهم عن اتباعه.

٢- حكم العبارة بينته الرؤيا وهي من الوحي وقد شرع بها أحكام كالأذان.

٣- هذه العبارة ليست من الشرك الأكبر لأنها لو كانت منه لما أخر إنكارها .

٤- معنى (يمنعني كذا) :المانع له ﷺ هو الحياء ، كما جاء مصرحا به في رواية .

٥- تنبيه : هناك حِكمٌ كثيرة في كون هذه اللفظة المنكرة لم ينكرها إلا اليهود.

م (٥) : الفرق بين الواو وثم في (ما شاء الله ثم شئت / ولولا الله ثم فلان) :

أن ثم تقتضي التعقيب والتراخي والواو تقتضي التسوية والتشريك .

وأكملها قول ما شاء الله وحده .

وما شاء الله ثم شاء فلان تجوز.

أما ما شاء الله وشاء فلان فلا تجوز.

التسوية إن كانت في اعتقاد الاستقلال بالفعل والشراكة في القدرة والتأثير فهذا شرك أكبر، وإن كانت التسوية في اللفظ فقط ومجرد السبب فهذا من الأصغر.

م (٦) : المقارنة بين هذه اللفظة وبعض ألفاظ القبورية المشركة :

إذا كان هذا قوله ﷺ أجعلتني لله ندا؟ فيمن قال ما شاء الله وشئت، فماذا سيقول فيمن قال: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك وأبياته البقية في قصيدته.

قال ابن القيم في الجواب الكافي: (ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ، كقول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: (ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده)أحمد. وهذا مع أن الله أثبت للعبد مشيئة كقوله: (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، فكيف من يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا من حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ويقول: والله وحياة فلان، أو: يقول: نذراً لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، وأرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك؟ فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: (ما شاء الله وشئت)، أيهما أفحش؟ يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبيﷺ لقائل تلك الكلمة.

وأنه إذا كان قد جعله نداً لله بها، فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل: لعله أن يكون من أعدائه؛ نداً لرب العالمين).

م (٧) : الجمع بين النهي عن قول هذه الألفاظ وبعض العبارات المشروعة :

أولاً : الجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ التوبة: ٧٤، ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ الأحزاب: ٣٧.

١- أن هذا من كلام الله وله تعالى أن يخبر بما شاء .

٢- أن إثبات ذلك مقيد والرسول ﷺ سبب في هذه الأمور، فقد أنعم على زيد بالعتق والناس بالصدقة، والله المنعم حقيقة وهو المغني والعالم حقيقة .

٣- أن النهي عن هذه الألفاظ من باب سد الذريعة ولتحقيق تعظيم الله تعالى وإفراده بالتصرف والمشيئة والكمال والنفع والضر والقدرة والخلق والتأثير .

ثانياً : الجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ النور: ٥٢.

أن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله تعالى .

ثالثاً : الجمع بينها وبين حديث: (إن الله ورسوله حرم) متفق عليه .

أن تحريم الرسول ﷺ هو بتحريم الله ﷻ فليس الرسول ﷺ مشرّعاً للدين استقلالا وإنما هو مبلغ عن الله دينه وشرعه.

أما إنكار الرسول ﷺ على الخطيب الذي قال : (ومن يعصهما فقد غوى) فقال له : (بئس الخطيب أنت) رواه مسلم.

فلأن الخطيب كان قادرا على الإتيان بالاسم الظاهر، ثم أراد أن ينبه المسلمين للتأدب مع الربوبية وعدم الغلو فيه وقرنه بالله في المنزلة مما قد يفهم منه تسويته بالله .

رابعاً : الجمع بينها وبين قول عائشة: (أتوب إلى الله ورسوله) رواه البخاري.

أن التوبة بمعنى الرجوع اللغوي ويكثر هذا على ألسنة الناس، أو أن التوبة للرسول توبة لله مثل الطاعة وليست العبادة والأول أقرب.

ويؤيد ذلك قول الأعرابي اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال ﷺ : (عرف الحق لأهله) رواه أحمد.

ومثلما سبق قول الصحابة زمن حياة الرسول ﷺ : (الله ورسوله أعلم) .

الفصل الرابع والعشرون : قول : (لو / لولا)

م (١) : علاقة لو بالتوحيد: لو تقدح في التوحيد ويظهر ذلك من ملحظين :

الأول : أن قول لو تقوم على التسخط على القدر والجزع والتحسر والندم.

والتوحيد لا يتم إلا بالرضا بالله وبالقدر والاستسلام لله في كل شيء وعدم التسخط على أفعاله وأقداره.

الملحظ الثاني : أن قول لو فيه التفات للسبب وإيهام استقلاله بحصول المطلوب، وفي هذا نسبة الحوادث لغير الله وتعلق بالأسباب وتسوية الخالق بالمخلوق في الفعل والسبب والتأثير، وفي هذا أيضا منافاة للتوكل الذي تقوم عليه العبادة .

من هنا يتبين مخالفة هذه الكلمة للتوحيد وفتحها لباب الشرك ، وعليه فهي داخلة في الشرك الأصغر ويعد من الوسائل التي قد توصل إلى الشرك الأكبر.

م (٢) : الأدلة الواردة في لولا ولو :

١ -قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال ابن عباس في تفسير الآية : (الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل . وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا ؛ هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم.

٢ - قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ آل عمران: ١٥٤ .

٣- حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم.

م (٣) : وقفات مع الحديث :

١- حال العبد مع الأمر المراد :

قبل وقوعه عليه بما يلي: الحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه ، الاستعانة بالله والتوكل على الله ، القيام به وعدم العجز والتواكل والتفريط في الأسباب.

بعد وقوع المراد إن حصل ما يريد من خير يشكر الله .

وإذا لم يحصل يتسلى بالصبر ويتعزى بالقدر ويقول ما ورد في الحديث .

٢- أقسام الناس عند المصائب :

جازع متسخط ، يقول : لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا .

صابر يقول : قَدَر الله وما شاء فعل . والدال بالتخفيف ويصح فيها التشديد.

٣- فائدة : عمل الشيطان الذي تفتحه لو : الوسوسة والتسخط والحزن .

م (٤) : قاعدة:حقيقة الشرك في قول لو ولولا :

١- أن قول (لو) تقوم على التسخط على القدر والجزع والتحسر والندم.

والتوحيد لا يتم إلا بالرضا بالله وبالقدر والاستسلام لله في كل شيء وعدم التسخط على أفعاله وأقداره.

٢- أن قول (لولا) شرك لأن فيها نسبة شيء من التدبير والتأثير لغير الله.

وهي داخلة في باب شرك الأسباب والاعتماد عليها ونسبة الحوادث للخلق.

والقاعدة في هذه الألفاظ معروفة متى تكون من الشرك الأصغر أو الأكبر.

يزيد لفظ (لولا الله وفلان) أن فيه التسوية في اللفظ الموهم التسوية في التأثير.

م (٦) : وجه كون (لو) قادحة في كمال التوحيد :

١ – أنه ينافي كمال التوكل الذي تقوم عليه العبادة .

٢ – أن فيه تسخطاً على القدر وعدم الرضا عن الله وأقداره.

٣ – نسبة الحوادث لغير الله وتعلق بالأسباب.

٤ – تسوية الخالق بالمخلوق في الفعل .

م (٧) : حالات قول (لو) :

١ – إذا كان لتمني الخير فهو جائز ومنه قوله ﷺ : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لسقت الهدي) . وقول لوط : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ هود: ٨٠.

٢ – أن تكون للجزع والتسخط والاعتراض على القدر أو تمني الشر ، فهذا محرم وهو الذي ورد النهي عنه . (وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا).

٣ – إن كان لبيان سبب حقيقي في الأمر فلا بأس : كقول النبي ﷺ عن أبي طالب : (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) .

م (٨) : الفرق بين لو ولولا :

لو : المقصود منها الاعتراض على القدر وعدم الرضا ، مثال : لو سافر ما قتل.

لولا : المقصود منها هنا نسبة الحوادث للمخلوق والاعتماد على السبب.

مثال : لولا كذا أو لولا الله وفلان لما صار كذا ، وهذا شرك تسوية في اللفظ

م(٩) فائدة : لفظ (ليت) قد تكون مثل لو في الدلالة فتأخذ نفس الحكم .

الفصل الخامس والعشرون : الألفاظ الشركية

وتحته ثلاثة عشر مبحثا

أولاً: الإلحاد في أسماء الله تعالى : أنواعه وصوره :

١- تعطيل الله من أسمائه وصفاته .

٢- تمثيل الله بخلقه ، ومن ذلك تسمية الله ﷻ بأسماء المخلوقين.

٣- تمثيل المخلوق بالرب ، ومن ذلك تسمية المخلوق ببعض أسماء الله .

ومن أعظم ذلك إلحادا تسمية الأصنام والآلهة الباطلة بأسماء الله تعالى.

٤- تسمية الله بما لم يسم به نفسه ، أو بما لا يليق كالأب والواجب والصانع.

٥- تحريف معاني أسمائه وصفاته وتأويلها.

٦- ادعاء أن معانيها مجهولة ولا تعرف وتفويض معانيها.

٧- تكييف صفات الله .

٨- وصفه سبحانه بالنقائص كالنوم والتعب والولد .

٩- ادعاء أنها جامدة غير مشتقة، أو أنها مخلوقة .

وكل هذه الصور داخلة في حقيقة الشرك.

قال قتادة : يلحدون يشركون . أخرجه ابن أبي حاتم .

والإلحاد منه ما هو مناف لأصل التوحيد ، ومنه ما هو مناف لكماله .

ثانياً : التسمي بأسماء الله والتشبه بها ووجوب احترامها :

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: ما أحسن هذا فما لك من الولد؟ قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح) رواه أبو داود وغيره.

م (١) : العلة من النهي عن التشبه بأسماء الله تعالى وتغيير الأسماء المشابهة :

العلة في ذلك ظاهرة : ويمكن إرجاعها لقاعدتين :

الأولى : أن في ذلك من تعظيم المخلوق وتشبيهه بالرب ﷻ وهذا قد يؤدي إلى الشرك بالمخلوق وعبادته وهذا ينقض التوحيد من أصله.

الثانية : لما يلزم منه القدح في عظمة الله وجعل المخلوق بمنزلة الخالق وأنه ليس بأرفع وأعظم من خلقه .

م (٢) : ما يدخل في باب احترام أسماء الله :

١- أن لا يسمى المخلوق بأسماء الله تعالى .

٢- أن لا يسمى الله ﷻ بأسماء الخلق .

٣- أن لا يسمى المخلوق باسم يشعر بصفة اختص الله بها كملك الملوك .

٤- أن لا يعبد العبد لغير الله في الاسم كعبد الرسول والمسيح.

٤- أن لا ينكر شيئاً من أسماء الله وصفاته ولا تحرف معانيها .

م (٣) : احترام أسماء الله وما يخالف ذلك له درجتان :

الأولى : ما هو ركن في التوحيد ويعتبر من أصله الذي يكفر من نقضه .

مثل تسمية الأصنام بالعزى ونحوها وكتسمية القبورية الغلاة بعض الأولياء الأموات بمالك الأمور وخازن السماء ونحوها ، فهذا شرك أكبر .

الثانية : ما هو من كمال التوحيد الذي يعتبر من قدح فيه واقعاً في الشرك الأصغر ، ومثاله ما جاء في حديث الباب .

م (٤) : الاحترام يكون بالقلب واللسان والجوارح .

ومن صور احترام أسماء الله تعالى:

أن لا ترمى إذا كانت مكتوبة في أوراق في الزبل ولا تدعس بالقدم .

وأن لا تصغر أسماء الله تعالى ، كأن يقال في قاهر قويهر .

وأيضا لا يصغر ما عبد بأسمائه كأن يقال في عبد الرحمن رحيّم ودحيّم ودحمان وعزوز تصغير عبد العزيز ونحو ذلك مما هو شائع في ألسنة العامة .

م (٥) : تنبيه بليغ :

إذا كان الرسول ﷺ غير كنية أبي الحكم لما فيها من منازعة الله صفته الحكم من حيث الاسم مع عدم حكمه بغير ما أنزل الله فكيف الحال بمن نازع الله هذه الصفة من أصلها من مشركي زماننا فادّعى لنفسه الحكم والتشريع والتحليل والتحريم ، وهذا كفر أكبر بواح بلا خلاف .

م (٦) : لم لم يغير الرسول ﷺ اسم حكيم بن حزام والحكم الغفاري ؟

والجواب : أن هذه أعلام محضة لم يقصد فيها الصفة التي هي الحكم .

ومن هذا الباب أيضاً جواز إطلاق كلمة الأخ الكريم والعزيز مالم يقصد مشابهة اسم الله تعالى.

ثالثاً: التسمي بملك الملوك وقاضي القضاة :

دليل تحريم هذه العبارة :

حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله) متفق عليه.

وفي رواية: أغيظ ، وفيه إثبات صفة الغيظ لله ﷻ على الحقيقة .

ومعنى أخنع : أوضع وأحقر وأخس وأسوأ وأخبث.

العلة من التحريم :

أن التسمي بقاضي القضاة ونحوه فيه قدح في التوحيد محرم من جهتين:

الأولى: تنقص عظمة الله من ناحية تشبيه المخلوق بالخالق في الاسم والمكانة.

الثانية: فيه تعظيم المخلوق مما قد يؤدي إلى الشرك به فصار وسيلة له.

هذا الباب فيه مشابهة : لباب التعبيد لغير الله ، وباب قول ربي وعبدي ، وباب احترام أسماء الله، وباب من جحد شيئا من الأسماء وغيرها.

مسألة : ومثل هذه التسمية المنكرة : إطلاق لقب ملك القلوب والإنسانية وصاحب الجلالة وصاحب الفخامة ، ومثل ذلك أيضاً : شيخ الإسلام وقاضي القضاة والمفتي الأكبر وحجة الإسلام.

رابعاً : التعبيد لغير الله وشرك التسمية .

م (١):حكم التعبيد لغير الله وأقسامه :

أولاً : يعتبر محرما ومن الشرك الأصغر إذا قصد به مجرد التسمية.

ثانياً : يكون شركا أكبر إذا كان المقصود منه العبادة.

ويظهر هذا المعتقد كثيرا فيمن يسمي بعبد علي وعبد النبي.

م (٢) : الجواب عن قول الرسول ﷺ أنا ابن عبد المطلب :

١ - أنه من باب الإخبار وليس الإقرار .

٢ - أن عبد المطلب اسمه شيبة الحمد ، وسمي بعبد المطلب لأنه دخل مكة مع أخيه المطلب وكان غلاما أسمر اللون فظنت قريش أنه عبد له فقالوا عبد المطلب فاستسمى بذلك، فيكون (عبد) هنا بمعنى رقيق وليس تعبيد العبادة فالرسول ﷺ غير من كان اسمه عبد شمس لما كان في التسمية معنى العبادة .

م (٣) :التحقيق فيما نسب لآدم من وقوعه في الشرك بتسمية ابنه بعبد الحارث:

اعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في وقوع آدم في الشرك وثبوت ما نسب إليه مع إجماعهم أن المقصود به الشرك الأصغر وليس الأكبر .

فذهب جماعة من السلف إلى أن آدم وحواء وقعا في الشرك مستدلين بقوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠.

وقالوا : إن المقصود بها آدم وحواء واستدلوا لذلك :

بحديث سمرة بن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبدالحارث فإنه يعيش فسمته عبدالحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم.

وقوله ﷺ : (خدعهما مرتين) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير.

ثم إنهم فسروا الشرك هنا بأنه كان في التسمية لا في العبادة .

لكن الصحيح أن آدم وحواء لم يقعا في الشرك ، وأن الذي وقع فيه هم المشركون من الذرية وبنو آدم وليس آدم ، كما قال الحسن البصري وغيره ونصره ابن القيم وابن كثير وغيرهم ، وأن معنى الآية: أنه لما أتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء لأنهما أصل لذريتهما .

قال الحسن: (كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم) أخرجه الطبري.

قال ابن القيم: (النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما،ولايلتفت إلى غير ذلك أن آدم وحواء كان لايعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتم أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا، فإن الله اجتباه وهداه لم يكن ليشرك به بعد ذلك) روضة المحبين ٢٨٩.

خامساً : قول : السلام على الله .

م (١) : حكم قول : (السلام على الله) :

يحرم قول هذه العبارة ، ولا يزال بعض العامة بعد الصلاة يقول اللهم أنت السلام وعليك السلام ، والواجب أن يقال ومنك السلام بدل عليك السلام .

م (٢) : دليل تحريم هذه العبارة : عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ : (لا تقولوا السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام) رواه البخاري .

م (٣) : وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر :

أن قول السلام على الله يقدح في التوحيد ويدخل في الشرك من جهتين :

١- أنه يلزم منه أن الله تعالى محتاج لمن يسلمه وأنه غير سالم من النقص.

٢- وأن الله سبحانه محتاج لمن يدعو له وهذا يخالف كونه يُدعا ولا يدعا له.

وفي هذا قدح في الرب ﷻ ومناقضة لتعظيمه، وتشبيه له بالمخلوق الناقص.

م (٤) : علة نهى النبي ﷺ الصحابة عن قول هذه العبارة: بيّن ﷺ علة النهي وهي أن الله هو السلام ولا يسلّم أحد دونه، فهو المسلم لخلقه السالم من كل نقص، وأما الخلق محتاجون للسلام فمن الذي يسلم الله وهو السلام السالم المسلم سبحانه .

م (٥) : معنى السلام :السلام له معنيان :

ثبوتي: أي المسلم لغيره من النقص، وسلبي من السلامة من النقص والعيب.

م (٦) : الفرق بين التحية والسلام: يقال التحيات لله ولا يقال السلام لله وعلى الله . لأن التحيات تأتي بمعنى الثناء وبمعنى السلام، فتضاف لله بالمعنى الأول.

سادساً : تعليق الدعاء بالمشيئة ، مثل قول:اللهم اغفر لي إن شئت.

م (١) : حكم قول : (اللهم اغفر لي إن شئت) :

يحرم قول هذه العبارة في الدعاء الديني والدنيوي، ومع ورود النهي عنها إلا أنه لا يزال كثير من الناس يعلق دعاءه بالمشيئة ،كقولهم: الله يعافيك إن شاء الله.

وهذا الحكم يتأكد تحريمه وقد يصل إلى الشرك الأكبر ما لو تحققت العلل في قلب من يقولها ، أنه مستغن عن الله أو أن الله له مكره أو صعب عليه ولا يقدر عليه.

م (٢) : دليل تحريم هذه: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له).ولمسلم: (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) رواه البخاري.

١- نهي النبي ﷺ عن هذه العبارة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري.

٢- قال ﷺ : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل) رواه الترمذي.

م (٣) : وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر وعلاقتها بالتوحيد:

أن هذه العبارة فيها تعليق الدعاء بالمشيئة، وهذا يقدح في التوحيد من جهات: إيهام الإكراه والعجز في حق الله والاستغناء عنه، وهذه لوازم فيها سوء أدب معه.

كما أن هذا الباب الاستثناء في الدعاء يتعلق بتوحيدي الربوبية والألوهية :

دخوله في شرك الألوهية أنه ينافي الافتقار لله والتذلل والخضوع وغيرها من المعاني التي تقوم عليها العبودية وهذا من حيث الاستغناء عن الله وعدم الرغبة.

ودخوله في شرك الربوبية : أن فيه قدحاً في الرب ﷻ ومناقضة لتعظيمه، وتشبيهاً له بالمخلوق الناقص ، وهذا المعنى من حيث توهم الإكراه والعجز في الله.

م (٤) : ذكر النبي ﷺ ثلاث علل في وجه تحريم قول هذه العبارة:

أن تعليق الدعاء على المشيئة محرم لكونه قادحاً في التوحيد من ثلاث جهات :

الأول : أنه قد يفهم منه أن أحداً يكره الله عز وجل والله ليس له مكره .

وهذه العلة نص عليها النبيﷺ بقوله: (فإن الله لا مكره له).

الثاني: أنه قد يلزم منه أن هذا الأمر عظيم أو صعب على الله .

وهذه العلة نص عليها النبيﷺ بقوله: (فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

الثالث: أنه يفهم منه أن الإنسان غني عن عطاء الله وليس في حاجة لدعاء الله تعالى ، فإن تحقق المدعو به أو لم يتحقق فالأمر بالنسبة للداعي سواء .

وهذه العلة نص عليها النبيﷺ بقوله: (ليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة) .

م (٥): فائدة: ليس من تعليق الدعاء المنهي عنه ما قصد به البركة لا التعليق ، كما في حديث (طهور لا بأس إن شاء الله) ، وحديث (وثبت الأجر إن شاء الله) ، وحديث دعاء الاستخارة.

م (٦): قاعدة: أحكام الشريعة معللة وليست مجرد تعبدية فالله تعالى إذا نهى عن شيء كان ذلك لحكمة قد نعلم بعضها ونجهل بعضها ، ومن هذا الأصل نهيه ﷺ عن الاستثناء في الدعاء حيث قرن بين الحكم وحكمته فبين العلة في النهي.

سابعاً : النهي عن التعبيد لغير الله تعالى وقول عبدي وربي .

فيه مشابهة لباب شرك التسمية.

م (١) : حكم قول : (عبدي وربي): يكره قولها، وتكون هذه العبارة محرمة، وتصل إلى الشرك الأكبر إن قصد حقيقة العبودية والربوبية وليس الرق والسيادة.

تنبيه : توجد هذه العبارة في من يسمون بالمشرعين والجهات المشرعة .

م (٢) : دليل تحريم هذه العبارة : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي) متفق عليه .

م (٣) : وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر وعلة تحريمها:

أن هذه العبارة توهم المشاركة في الربوبية وتشبيه المخلوق بالله تعالى .

وأيضاً وجود من يستحق العبادة من دون الله .

م (٤) : الفرق بين السيد والرب :

أن الرب إذا عرّف لا يطلق على لله تعالى.

م (٥) : فقه البدائل :أمر النبي ﷺ أن يقول لفظ سيدي ومولاي بدل ربي وفتاي وفتاتي بدل عبدي وأمتي ، فعلمهم العبارة السليمة من شوائب الشرك.

م (٧) : الجمع بين الحديث وما جاء في خلاف ذلك من الأدلة:

ليس من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ التوبة: ٣١. لأنهم شابهوا الرب في صفة التشريع فيقال فيها ما يقال في الآلهة.

أما قوله تعالى : ﴿ أَذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ يوسف: ٤٢، فقيل إنه من شرع من قبلنا كما أبيح لهم السجود لبعضهم للتحية ونحن نهينا عن هذه اللفظة .

وقيل إن النهي للتنزيه والكراهة لا التحريم وهذه الآية لبيان الجواز كما يقال رب الدار والناقة .

وقيل النهي إذا قصد به الغلو والمشابهة.

وأخطأ من قال إذا قصد بهذه الألفاظ الإخبار فيجوز إذ النهي للعموم.

ثامناً: إجابة من سألنا بالله وعدم رد طلبه.

وصيغة السؤال بالله : أسألك بالله ، بالله عليك .

معنى إعاذة من استعاذ بالله ، لها صيغتان : أن يقال لك :

أعوذ بالله منك ومن شرك ، أو أسألك بالله أن تعيذني وتكفيني شرك.

وتشبه: مسألة وجوب الاقتناع بالحلف ، والنهي عن إعطاء ذمة الله ، وعدم السؤال بوجهه ، وعدم الاستشفاع به ، وعدم الإقسام عليه.

م (١) : حكم إجابة أو رد من سأل بالله :

يجب إجابة من سأل بالله وعدم رد طلبه إن لم يكن في الطلب ضرر أو حرام.

م (٢) : دليل المسألة :عن ابن عمر قال: قال ﷺ :(من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) رواه أبو داود والنسائي.

وجه الحث على المكافأة : لينتفي الذل للمخلوق الذي استعبدك بإحسانه.

م (٣) : وجه دخول هذه المسألة في شرك الألفاظ الأصغر وعلاقتها بالتوحيد :

أن في إجابة من سأل بالله وعدم رد طلبه تعظيما لله تعالى ، وضد ذلك فيه تنقص لله تعالى وينافي الأدب والاحترام ، فمن رد من سأل بالله فهو في الحقيقة لم يعظم الله المسئول به والمتوسل به، فصار بذلك متنقص لله لا المخلوق السائل، وفي ذلك نوع تشبيه لله بخلقه ونسبة النقص له بكونه يرد كما يرد المخلوق ولا يجاب.

م (٤) : هل في صيغة السؤال بالله كفارة: إن قصد السائل اليمين ففيه الكفارة على الحالف إذا لم يجبه المحلوف عليه ويعتبر حانثا،وإن قصد مجرد السؤال فلا كفارة.

تاسعاً : تحريم السؤال بوجه الله .

م (١) : أوجه السؤال بوجه الله : له صيغتان :

١- أن يسأل الله بوجهه أمور الدنيا ، فلا يجوز أن يسأل بوجهه غير الأمور العظيمة كالجنة ورضا الله.

٢- أن يسأل الناس بوجه الله ، كأن يقول: وجه الله عليك تفعل كذا ، أو أسألك بوجه الله أن تفعل كذا.

تنبيه : تخصيص الجنة، يدخل فيه ما هو وسيلة لها كرضا الله وعدم غضبه .

م (٢) : حكم السؤال بوجه الله :

وهذا الحكم يتأكد تحريمه وقد يصل إلى الشرك الأكبر ما لو تحققت العلل في قلب من يقولها ، أنه مستغن عن الله أو أن الله له مكره أو صعب عليه ولا يقدر عليه.

م (٣) : دليل تحريم العبارة : عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة) رواه أبو داود ومدار الإسناد على سليمان بن معاذ وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني بإسناد حسن: (ملعون من يسأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله ثم يمنع سائله ما لم يسأل هجرا) .

م (٤) : علة تحريمها : أن السؤال بوجه الله الأمور الحقيرة إبتذال وامتهان، وهذا يخالف مبدأ تعظيم الرب تعالى وإجلاله وبالتالي يعد قادحا في كمال التوحيد.

عاشراً: الظن بالله تعالى، وأحكام الظن الحسن والسيئ.

م (١) : تعريف الظن وحقيقته وأنواعه:

الظن هو التوقع والعلم بالشيء على غير حقيقته غالبا وهو أنواع :

١- ظن صحيح صادق وظن باطل كاذب آثم.

٢- ظن حسن وضده الظن السيئ .

م (٢) : ارتباط مسألة الظن بالله بثلاثة أبواب من العقيدة :

١- باب الأسماء والصفات.

٢- باب العبادة وتوحيد الألوهية والرجاء والتوكل.

٣- باب القدر .

م (٣) : صوره : أنواع الظن السيئ بالله لا تحصر ، فمنها :

ظن الكثير أن الله لن ينصر دينه وأولياءه وسيخذلهم ويظهر الكفار عليهم، وأن الله يخيب من دعاه ورجاه وتوكل عليه، ظن العبد أن الله لن يرحمه ولن يعاقبه إذا أساء ، الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، ظن الجهال أنه يمكن مغالبة القدر وأن الشخص لو فعل كذا لما وقع المقدور ، ما يقع في نفس الكثير أن هذا الأمر الذي قدره الله وأراد وقوعه لا حكمة فيه أو فيه شر، أو أن فيه ظلماً على العباد، الاعتراض على القدر، أن الله لم يقدر الأمور، اعتقاد أن الله يساوي المسلم بالكافر والطائع بالعاصي، إنكار الحساب والثواب والعقاب، إنكار صفات الله وتحريفها ، الشرك .

تنبيه: ليس من الظن السيئ خشية الله والخوف من عدم قبول العمل.

تنبيه : الشرك بالله بأنواعه من أعظم أنواع إساءة الظن بالله تعالى ومن أبرزها جعل الوسائط بين الله وبين خلقه تشبيها له بملوك الدنيا الذين لا يرحمون ولا يعلمون ولا يقدرون إلا بالوسطاء عندهم .

م (٤) : خطورة الظن وطرق السلامة منه :

يقع أكثر الناس في الظن السيء وهم بين مقل ومكثر ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه. والواجب أن لا يظن العبد بربه الذي كل خير منه تعالى ، وليظن بنفسه التي هي مأوى كل سوء .

م (٥) : مرجع الظن بالله إلى معرفة صفاته والعلم الصحيح به .

وسبب الظن السيئ : إنكار صفات الله تعالى وتحريفها والجهل بها.

م (٦): علة تحريم سوء الظن بالله ووجه دخوله في الشرك الأصغر:

أن في حسن الظن بالله تعظيما لله تعالى ومعرفته حق المعرفة، وضد ذلك الذي هو سوء الظن بالله يعد تنقصا لله تعالى، وجهلاً بصفاته الحسنى، وتشبيهاً له بخلقه، واعتراضاً على قدره، وإساءة أدب معه فهو بذلك يعتبر من قوادح التوحيد .

م : (٧) : أدلة المسألة :

١ - قوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ آل عمران: ١٥٤.

والآية جاءت في سياق قصة معركة أحد وما قاله المنافقون فيها.

٢ - قوله تعالى: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ الفتح: ٦.

وهي في المنافقين والمشركين، وفيه دلالة على ارتباط الظن بالشرك والنفاق.

٣- قال ابن القيم في الآية الأولى في زاد المعاد عند كلامه عن معركة أحد :

(فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق . فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه).

تنبيه: رد ابن القيم الظن السيئ عند المنافقين والجهال في الآية لثلاثة أسباب:

١ - أن الله لن ينصر دينه ورسوله وأنه سيضمحل أمره ويعلو أعداؤه.

٢ - أن هذا الأمر لم يكن بقدر الله وكان يمكن دفعه.

٣ - أنه مخالف للحكمة .

أدلة الظن الحسن:

١ - قال الله ﷻ: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء)البخاري.

٢ - قال ﷺ : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه بالله ﷻ) رواه مسلم .

٣ - في الحديث: (حسن الظن بالله من حسن العبادة) رواه الترمذي والحاكم.

الحادي عشر: النهي عن إعطاء ذمة الله ووجوب الوفاء بها لمن أعطاها .

م (١) : حكم جعل ذمة الله للناس :

يكره إعطاء ذمة الله عند العهود .

ويحرم الحنث فيها وخفرها وعدم الوفاء بها .

عبارة أعطيك عهد الله ، لك عهد الله ، وبيني وبينك عهد الله ، ونحوها .

الذي يترجح لي تحريمها لظاهر هذا الحديث والله أعلم .

م (٢) : أدلة المسألة :

١ - قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل: ٩١.

٢ - حديث بريدة عند مسلم: (فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه) .

لهذه المسألة جانبان :

الأول : حفظ ذمة الله ورسوله وعدم إعطائها أحداً.

الثاني : الوفاء بذمة الله وعهده إذا جعلها الشخص للناس.

م (٣) : وجه دخول هذه العبارة في شرك الألفاظ الأصغر :

أن حفظ ذمة الله ﷻ من تعظيم الله تعالى وإجلاله واحترامه وعدم تنقصه ، وفي خفرها منافاة لذلك ونوع تشبيه للخالق بالمخلوق في خفر الذمة وهوانها ، فالنهي جاء حسما لمادة التشريك وذريعة التشبيه وباب الانتقاص .

م (٤) : علة تحريم قول هذه العبارة:

١- تعظيم الله وعدم انتقاصه ، وقد نص النبي ﷺ على هذه العلة بقوله : إنكم إن تخفروا ذممكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

٢- من جهة أخرى في نقض ذمة الله صدٌ عن دين الله وتشويهٌ لصورته.

م (٥) : فقه البدائل :

أمر النبي ﷺ أن يعطى المحالف ذمته بدل أن يعطِ ذمة الله تعالى .

م (٦) : أعظم العهود والحقوق عند الله التوحيد .

وعهد الله على عباده : عبادته وعهدهم عنده أن يدخلهم الجنة .

قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ البقرة: ٤٠ ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ المائدة: ١٢.

م (٧) : لا يقال هذه ذمة رسوله بعد موته لأمرين لعلة الحديث ولكونه انقطعت حياته وعهده وحلفه.

م (٨) : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء:

وهل علة (لا يدري أيوافق حكم الله أم لا) باقية أو انتهت باستقرار الأحكام واكتمال الشريعة، قولان لأهل العلم في المسألة، والصحيح أنه يفرق بين الأحكام القطعية والمسائل الخلافية الاجتهادية فيجزم بأن ذلك حكم الله في الأول لا الثاني.

فيقال: حكم الله في الزنا أنه محرم ، ولا يقال مثلاً : حكم الله فيكم وجوب أن تقتلوا ، حيث لا يدري هل هذا حكم الله أم لا .

الثاني عشر : الإقسام على الله تعالى والتحكم في أفعاله.

ومعناه: أن يحلف العبد أن الله يفعل كذا وكذا .

الإقسام على الله نوعان :

الأول : محرم : وهو أن يكون حلفه وإقسامه على الله من قبيل التدخل في خصائص الله والتحكم في أفعاله، كأن يقول:والله لا يغفر الله لفلان ولا يهدي فلانا.

دليل المسألة : عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : (من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك) . رواه مسلم.

والقائل رجل عابد. قال أبو هريرة: (تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته) .

والتألي والإيلاء : هو بمعنى الحلف واليمين والقسم.

الثاني : جائز: وهو أن يحلف العبد على ربه من باب حسن الظن به وقوة رجائه ، من غير تحكم في أفعاله وشؤونه وكأنه وصي على ربه أو تدخل في خصائص الله أو اعتراض على ما يخالف صفاته ومن ذلك سلب الله من الرحمة والمغفرة .

ومن أمثلة هذا القسم : أن يقول التائب الراجي ربه أقسم عليك إلا تغفر لي وتعفو عني ، أو يقول : والله لتنزلن الغيث على عبادك بكرمك.

ويدل لهذا القسم : قول النبي ﷺ في أنس بن النضر حين قال : والله لا تكسر ثنية الربيع : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) متفق عليه .

وعند مسلم :(رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره).

تنبيه : ليس من هذا الباب الحكم على الكفار بعدم المغفرة ، تقول الله لا يغفر للكفار ، أو الحكم على كافر ميت بأنه من أهل النار ، كما جاء في الحديث .

علاقة موضوع الإقسام على الله بباب التوحيد ومكانته وسبب إيراده:

١ - أن هذه العبارة توهم المشاركة في الربوبية وتشبيه المخلوق بالله تعالى .

٢ - تنقص الرب من حيث توهم من يتحكم في تصرفاته ويتدخل في أموره.

تنبيه : علاقة الإقسام بالسؤال والتوسل :

قد تكون العبارة سؤالا وقد تكون توسلا وقد تكون إقساماً ، والإقسام قد يكون على الله ويكون على المخلوق أقسم عليك وأسألك .

قال ابن تيمية في التوسل: (قول القائل ، أسألك بكذا نوعان ، فالباء تكون للقسم وتكون للسؤال ، فالأول القسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوقات فكيف بالخالق ، وأما الثاني وهو السؤال بالمعظم كالسؤال بحق الأنبياء) .

الثالث عشر : الاستشفاع بالله على خلقه .

م (١) : دليل هذه العبارة : عن جبير بن مطعم ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، **فإنا نستشفع بالله عليك**، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : (سبحان الله سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، **إنه لا يستشفع بالله على أحد**) رواه أبو داود .

م (٢) **علاقته بالتوحيد**: هذه العبارة فيها قدح في التوحيد من جهتين:

١- فيها تنقص الرب ﷻ ، وأنه يطلب من خلقه ويرجوهم وكأنهم أعلى منه.

٢- أن فيها رفع المخلوق، كما يوهم المشاركة في الربوبية وتشبيه المخلوق بالله.

وجه دخولها في شرك الألفاظ الأصغر :لما فيها من تشبيه المخلوق بالرب.

م (٣) : **حقيقة الاستشفاع بالله على خلقه :**

الله لا يشفع لمخلوق عند مخلوق فهو رب الجميع ومالكهم، والله إذا أراد أن يعفو المخلوق عن ظالمه عرض له من الثواب ما يجعله يعفو وليست هذه شفاعة، وقد غضب النبي ﷺ لما قال له الرجل نستشفع بالله عليك ومثلها الإقسام على الله.

م (٤) : **حكم جعل الله واسطة عند خلقه وشفيعاً للداعي عند الله :**

(الشفاعة يا الله ، وشفاعتك يا الله سقت لك الله ، والله واسطتي عندك) .

وهذا يحتمل أحد أمرين :

الأول: إن قصد أن الله هو الشافع والمتوسط عند خلقه وأنه كالواسطة يتوسط له عند المخلوق من ملك وغيره، فهذا قد استشفع بالله وقد نزل الله تعالى عن منزلته،

وقال قولا عظيما واعتقد اعتقادا فاسدا وارتكب أمراً محرماً ووقع في سوء الأدب مع الله، فإن الله ﷻأعظم شأنا من أن يشفع عند أحد فالكل خلقه وعبيده، وقد غضب الرسول ﷺ على الرجل الذي قال:(نستشفع بالله عليك) وأنكر عليه هذا اللفظ .

الثاني: إن قصد التوكل وأن الأمر كله لله عز وجل ، فهذا يجوز ولكن هذا اللفظ الأولى تركه، لوجود الإيهام فيه والقاعدة (أن أي لفظ يوهم فإن الله أمرنا بتركه) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ البقرة: ١٠٤ فهذا يدل على أن الإنسان يجب أن يتقيد بالألفاظ الشرعية التي لا إيهام فيها .

م (٥) : هل الرب عز وجل يشفع :

في الحديث المتفق عليه يقول تعالى: (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين). **وفي رواية عند البخاري (وبقيت شفاعتي)** .فالله ﷻ يرحم ويغفر ويتوب ويعفو وأما الشفاعة فهي عنده وملك له فيشفع عنده بأمره وإذنه ولا يشفع عند أحد تبارك وتعالى .

لكن قد يقال في هذه الرواية بتصور شفاعة الله عند نفسه وهي من جنس ماورد في الدعاء الذي رواه مسلم : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك) ، (برحمتك أستغيث).

قال ابن القيم:(الشفاعة لمن له الملك فهو الذي يشفع لنفسه عند نفسه ليرحم، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له) الإغاثة ٢٤٦.

م (٦) : الفرق بين الاستشفاع والسؤال بالله :

أن السؤال لا يلزم منه نزول مرتبة المسؤول وأنه أدنى ، خلافا للاستشفاع.

الفهرس

الباب الأول : الشرك الأصغر

الباب الثاني : ذرائع الشرك ووسائله

الباب الثالث : مباحث متعلقة بالشرك الأصغر ووسائل الشرك